الفقه في الدين

- قال أبو بكر بن عياش رحمه الله كما في ترجمته من السير:(الدخول في العلم سهل، والخروج منه إلى الله شديد!)
- قال أحمد بن حنبل رحمه الله: عزيز علي أن تذيب الدنيا أكباد رجال وعت صدورهم القرآن!.. المناقب ص259
- قال أبو داود: لم يكن أحمد بن حنبل يخوض في شيء مما يخوض فيه الناس من أمر الدنيا، فإذا ذكر العلم تكلم.. المناقب لابن الجوزي ص269
- قال أحمد بن حنبل رحمه الله: ربما مكثت في المسألة ثلاث سنين قبل أن أعتقد فيها شيئا!.. المناقب ص338
- قال المروذي: قلت لأبي عبدالله: الرجل يقال له في وجهه: أحييت السنة؟ قال: هذا فساد لقلب الرجل.. المناقب ص345
- في ترجمة أحمد بن صالح المصري من طبقات السبكي: قال يعقوب الفسوي: كتبت عن ألف شيخ، وكسر حجتي فيما بيني وبين الله رجلان: أحمد بن حنبل وأحمد بن صالح.
- وفي ترجمة ابن راهويه: قال أبو يحيى الشعراني: وكنت إذا ذاكرت إسحاق في العلم وجدته فردا فإذا جئت إلى أمر الدنيا وجدته لا رأي له.
- في طبقات الحنابلة ترجمة إسماعيل بن قتيبة قوله: دخلت على أحمد بن حنبل وقد قدم أحمد بن حرب من مكة فقال لي أحمد: من هذا الخراساني الذي قدم؟ قلت: من زهده كذا وكذا ومن ورعه كذا وكذا، فقال: لا ينبغي لمن يدعي ما يدعيه أن يدخل نفسه في الفتيا.
- وفي ترجمة حرمي بن يونس قال: أتيت أبا عبد الله فسألته عن حديث فقال: نعم حتى أخرجه لك قال: فلما كان في نصف النهار إذا رجل يدق علي الباب قال: فخرجت فإذا أبو عبد الله قال: فقلت: حاجة قال: نعم قلت: تدخل قال: نعم فدخل فأخرج إلي رقعة فيها أحاديث فقرأها علي ثم أبرد عندي ومضى.
- وفي ترجمة رجاء المروذي قلت لأحمد بن حنبل: أريد أن أعرف الحديث، قال: إن أردت أن تعرف الحديث فأكثر من الكتاب.
- وفي ترجمة عبيدالله بن أحمد: وسمعت أبا عبد الله وسئل عن رجل يقيم ببلده وينزل في الحديث درجة؟ قال: ليس يطلب العلم هكذا، لو طلب العلم هكذا مات العلم، إنما يؤخذ العلم عن الأكابر.

- وفي ترجمة القاسم بن سلام: قال محمد بن وهب: قال أبو عبيد: كنت في تصنيف هذا الكتاب -الغريب- أربعين سنة، وربما كنت أستفيد الفائدة من أفواه الرجال فأضعها في موضعها من هذا الكتاب فأبيت ساهرا فرحا مني بتلك الفائدة، وأحدكم يجيئني فيقيم عندي أربعة أشهر وخمسة أشهر فيقول: قد أقمت الكثير!
- وفي ترجمة عبدالسلام -هكذا مبهما- قال: قلت: لأبي عبد الله: إن بطرسوس رجلا قد سمع رأي عبد الله بن المبارك يفتي به، قال: هذا من ضيق علم الرجل يقلد دينه رجلا، لا يكون واسعا في العلم.
- وفي ترجمة عباس الدوري: سمعت أحمد بن حنبل يقول: عجب لأصحاب الحديث! تنزل بهم المسألة فيها عن الحسن وابن سيرين وعطاء وطاوس -حتى عد عدة- فيذهبون إلى أصحاب الرأي فيسألونهم! ألا ينظرون إلى علمهم فيتفقهون به؟
- وفي ترجمة عباس بن محمد بن عيسى الجوهري: سمعت أحمد بن حنبل يقول: من الكبائر: قاص يقص على قصاص.
- قال الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه في آداب المشي إلى الصلاة: ويستحب حفظ القرآن إجماعا، وهو أفضل من سائر الذكر..
- قال الإمام أحمد رحمه الله في كتاب الصلاة الذي ذكره ابن أبي يعلى في ترجمة مهنا:

ومعنى القراء ليس على الحفظ للقرآن، فقد يحفظ القرآن من لا يعمل به ولا يعبأ بدينه ولا بإقامة حدود القرآن وما فرض الله عز وجل عليه فيه..

- قال ابن الجوزي عن شيخه أبي بكر أحمد بن محمد الدينوري: وكان يرق عند ذكر الصالحين ويبكي ويقول: للعلماء عند الله قدر، فلعل الله أن يجعلني منهم. انتهى من ترجمة الدينوري في ذيل طبقات الحنابلة
- سئل ابن المبارك: هل للعلماء علامة يعرفون بها؟ قال: علامة العالم من عمل بعلمه واستقل كثير العمل من نفسه ورغب في علم غيره وقبل الحق من كل من أتاه به وأخذ العلم حيث وجده فهذه علامة العالم وصفته. طبقات الحنابلة.
- قال العلامة ابن عثيمين رحمه في تعليقه على قواعد ابن رجب بعد ذكره تعليلات المتنازعين في مسألة:(هل النزع جماع أم لا؟): (وهذه التعليلات الفقهية أشبه ما تكون بكلام المتكلمين في العقيدة!) اهـ

- قال ابن حامد كما في ترجمته من الطبقات:(والأشبه عندي: أن سائر الفقه والأصول سواء وأن له إيقاع الجواب عند الاضطرار ونزول الحادثة أن يجتهد فيما يوجبه الدليل ويفتي بذلك وإن كان بالقول منفردا كما أن إمامنا صار في الأصول إلى ظاهر التنزيل.)
- قال المهلب في مقدمة المختصر النصيح:(حفظ الله عليكم التنزيل، وبين لكم الرسول، وقيد العلماء، واستنبط الفقهاء، ونقلت الأمة، وصححت الأئمة) انتهى، فماذا بقي غير الاجتهاد في طلب العلم؟!
- قال العلامة زيد المدخلي رحمه الله: وكلما ازداد المؤمن من الفقه في دينه ازدادت رغبته في التفقه وأحب مجالس العلم وحلقاته التي ترضي الله...التعليقات الحسان على كتاب أصول الإيمان ص٣٩
- وقال العلامة عبدالرحمن محيي الدين:(وكلما ازداد العبد دراسة وتعلما وتعليما وفهما وعملا بالقرآن والسنة على منهج السلف الصالح، ازداد محبة لهما، حتى يصيرا أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه، لأنهما أنزلا من حكيم حميد لإسعاد العباد في الدنيا والآخرة..) شرح نواقض الإسلام ص81
- وقال معلقا على حديث:(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون):(فالحديث علم من أعلام النبوة، وخبر صدق لا نزال نرى آثاره ومعالمه ظاهرة وواضحة في كل زمان ومكان، فأهل الحديث في كل زمان ومكان، وهم خلاصة أهل الإسلام وزبدتهم، ولا يحب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عظماء الرجال، ولا يتنكبه إلى غيره من آراء الرجال إلا ضعاف العقول من الرجال، وما رفع أحد رأسه به إلا رفعه الله، ولذا قال الإمام أحمد رحمه الله عند هذا الحديث: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أعرفهم.) شرح الاعتصام من البخاري ص76
- قال العلامة أحمد النجمي رحمه الله: علوم الآلة هي من علوم الدنيا، ولا توجب مدحا ولا ذما في الدين، والإنسان إنما يمدح بالدين ويحمد إذا كان سائرا عليه والعكس بالعكس، فإذا كان الإنسان صاحب علم في علوم الآلة لا يجوز له أن يشتغل بالدعوة ويكون إماما في الدعوة وهو لا يعرف تفاصيل الأحكام الشرعية، فالأحكام الشرعية والدعوة إليها، يتوقف ذلك على علماء الشريعة الذين يعرفون الشريعة ويعرفون ما يصادمها... مثلا اللغة العربية برع فيها وهو معه علم من الشريعة، لكن -يعني- برع في علوم العربية أكثر، فهذا يجب عليه أن يعرف الحق لأهله، وإذا

نقص عليه شيء وسئل عن شيء لا يعلمه يجب عليه أن يرده إلى من يعلمه، نعم. انتهى من جواب صوتي للشيخ.

وفي فضل على السلف لابن رجب: وكذلك التوسع في علم العربية لغة ونحواً هو مما يشغل عن العلم الأهم والوقوف معه يحرم علماً نافعاً. وقد كره القاسم بن مخيمرة علم النحو وقال أوله شغل وآخره بغي. وأراد به التوسع فيه ولذلك كره أحمد التوسع في معرفة اللغة وغريبها وأنكر على أبي عبيدة توسعه في ذلك وقال هو يشغل عما هو أهم منه. ولهذا يقال أن العربية في الكلام كالملح في الطعام يعني أنه يؤخذ منها ما يصلح الكلام كما يؤخذ من الملح ما يصلح الطعام وما زاد على ذلك فإنه يفسده. اهـ

- وقال ابن مفلح:(وإن كان من يفتي يعلم من نفسه أنه ليس أهلا للفتوى لفوات شرط أو وجود مانع، ولا يعلم الناس ذلك منه، فإنه يحرم إفتاء الناس في هذه الحال)
- قال الخطيب مبينا حال طالب العلم: وينبغي له أن يواظب على مطالعة كتبه عند وحدته، ورياضة نفسه في خلوته بذكر السؤال والجواب وحكاية الخطأ والصواب. الفقيه والمتفقه ص٤٧٩
- ونقل ابن حجر عن القرطبي قوله:(أن أهل الأصول قالوا: يجب على المجتهد أن يجدد النظر عند وقوع النازلة، ولا يعتمد على ما تقدم له لإمكان أن يظهر له خلافٌ غيرُه)
- في صيد الخطر: (أفضل الأشياء التزيد من العلم، فإنه من اقتصر على ما يعلمه فظنه كافياً استبد برأيه، وصار تعظيمه لنفسه مانعا له من الاستفادة، والمذاكرة تبين له خطأه، وربما كان معظماً في النفوس فلم يُتجاسر على الرد عليه، ولو أنه أظهر الاستفادة لأهديت إليه مساويه فعاد عنها) اهـ
- في الآداب الشرعية:(وبعض الناس يحتج لتركه -طلب العلم- بكبر السن أو عدم الذكاء أو القلة والفقر أو غير ذلك، ومن ذلك وسواس الشيطان يثبطون بها.

ومن نظر في حال السلف وجماعة من علماء الخلف وجدهم لا يلتفتون إلى هذه الأعذار ولا يعرجون عليها، وقد قيل:

ومن يجتهد في نيل أمر ويصطبر ... ينله وإلا بعضه إن تعسرا

فما دمت حيا فاطلب العلم والعلى ... ولا تأل جهدا أن تموت فتعذرا) اهـ

- ونقل عن الأوزاعي:(إن الله إذا أراد أن يحرم عبده بركة العلم ألقى على لسانه المغاليط، فلقد رأيتهم أقل الناس علما)

- وقال ابن حجر:(ومن أمعن في البحث عن معاني كتاب الله، محافظا على ما جاء في تفسيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه الذين شاهدوا التنزيل، وحصل من الأحكام ما يستفاد من منطوقه ومفهومه، وعن معاني السنة وما دلت عليه كذلك، مقتصرا على ما يصلح للحجة منها، فإنه الذي يُحمد ويُنتفع به، وعلى ذلك يحمل عمل فقهاء الأمصار من التابعين)
- قال الشوكاني في فتح القدير:(وقد حكى بعض المحققين أن أقوال المختلفين في الروح بلغت إلى ثمانية عشر ومائة قول، فانظر إلى هذا الفضول الفارغ والتعب العاطل عن النفع، بعد أن علموا أن الله سبحانه قد استأثر بعلمه، ولم يطلع عليه أنبياءه، ولا أذن لهم بالسؤال عنه ولا البحث عن حقيقته، فضلا عن أممهم المقتدين بهم، فيا لله العجب حيث تبلغ أقوال أهل الفضول إلى هذا الحد الذي لم تبلغه ولا بعضه في غير هذه المسألة مما أذن الله بالكلام فيه ولم يستأثر بعلمه.) انتهى، وفيه أنه ليس كل خلاف جاء معتبرا، وليست كل مسألة مما يسوغ فيه الخلاف، وإتماما لتفسير الآية فقد قال ابن القيم في الروح:(وأكثر السلف، بل كلهم، على أن الروح المسؤول عنها في الآية ليست أرواح بني آدم بل، هو الروح الذي أخبر الله عنه في كتابه أنه يقوم يوم القيامة مع الملائكة، وهو ملك عظيم) انتهى.
- قال سحنون:(أجرأ الناس على الفتيا أقلهم علما، يكون عند الرجل الباب الواحد من العلم يظن أن الحق كله فيه) وقال:(إني لأحفظ مسائل، منها ما فيه ثمانية أقوال من ثمانية أئمة من العلماء، فكيف ينبغي أن أعجل بالجواب حتى أتخير؟ فلم ألام على حبس الجواب؟)
- قال الآجري في صفة عالم السوء:(يغضب على غيره -زعم- لله, ولا يغضب على نفسه لله!) انتهى من أخلاق حملة القرآن.
- وروى عن الفضيل بن عياض: ينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له حاجة إلى أحد من الخلق، إلى الخليفة فمن دونه، وأن تكون حوائج الخلق إليه.. حامل القرآن حامل راية الإسلام
- في تهذيب الكمال أن معمر بن سليمان الرقي كانت له حاجة إلى أمير، فقيل له: لو أتيته فكلمته، فقال: قد أردت إتيانه ثم ذكرت العلم والقرآن فأكرمتهما..
- وفي ترجمة حماد بن سلمة رحمه الله أن السلطان دعاه، فقال: أحمل لحية حمراء إلى هؤلاء؟! لا والله.
- وفي الفقيه والمتفقه عن إبراهيم بن إسحاق الحربي: كان عطاء بن أبي رباح عبدا أسود لامرأة من أهل مكة، وكان أنفه كأنه باقلاة، قال: وجاء سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين إلى عطاء هو وابناه فجلسوا إليه وهو يصلي، فلما صلى انفتل إليهم، فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج وقد

حول قفاه إليهم، ثم قال سليمان لابنيه: قوما، فقاما، فقال: يا بني لا تنيا في طلب العلم، فإني لا أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد الأسود.

- قال محمد بن كعب القرظي كما في ترجمته من تهذيب الكمال: إذا أراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا وفقهه في الدين وبصره عيوبه.
- إن كان العلماء يغضبون منك فانتبه وراجع نفسك، فقد تكون على خطر، قال الجعد بن درهم: ما كلمت عالما قط إلا غضب وحل حبوته، إلا وهب بن منبه. من ترجمة وهب من تهذيب الكمال.

وليس هذا على الإطلاق، فقد طلب عويمر العجلاني من عاصم بن عدي -رضي الله عن الجميع- سؤال النبي صلى الله عليه وسلم، فكره النبي مسألته، فقال عويمر: والله لا أنتهي حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك.

قال في التمهيد: وفيه أن المحتاج إلى المسألة من مسائل العلم لا يردعه عن تفهمها غضب العالم وكراهيته لها حتى يقف على الثلج منها. انتهى

- قال ابن القيم رحمه الله:

وعياذا بالله من شر مقلد عصبي يرى العلم جهلا والإنصاف ظلما وترجيح الراجح على المرجوح عدوانا، وهذه المضايق لا يصيب السالك فيها إلا من صدقت في العلم نيته وعلت همته، وأما من أخلد إلى أرض التقليد واستوعر طريق الترجيح فيقال له: ما هذا عشك فادرجي. انتهى من تهذيب السنن٣/٢٥١

- قال المعلمي في التنكيل ١/٤٣٤:

فإن المجتهد قد يخطيء خطأ لا يخلو عن تقصير، وقد يقصر في زجر أتباعه عن تقليده هذا التقليد الذي نرى عليه كثيرا من الناس منذ زمان طويل، الذي يتعسر أو يتعذر الفرق بينه وبين اتخاذ الأحبار والرهبان أربابا من دون الله، فقد يلحق المجتهد كفل من تلك التبعات..

- عن سعيد بن جبير قال: كنا إذا اختلفنا في شيء بالكوفة كتبته حتى أسأل عنه ابن عمر رضي الله عنه.. رواه ابن شبة عند ذكر اللعان بسند صحيح
- قال العلامة محمد أمان الجامي رحمه الله: هذا شيء مجرب، فعندما يدرس طالب معين مذهبا معينا يرى أن الحق والخير كله فيما درس، ويجهل ما عدا ذلك!. انتهى، من قرة عيون السلفية بالأجوبة الجامية ص٥٤٤
- قال العلامة محمد أمان الجامي:(فيبدأ بالتعلم والدراسة، ولا يبدأ بالانتقاد، النقد بعد العلم، العلم قبل القول والعمل) شرح ثلاثة الأصول ومكملاتها ص396

- وقال ص475 معلقا على حديث:(مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل أرض..):(وهذه الطبقة الثانية من بني آدم: أناس قد يدرسون ويحفظون القرآن ويحفظون السنن ويحفظون أسماء الرجال ويحفظون القواعد، لكن لم يُرزقوا الفقه في الدين، إذ ليس الفقه في الدين دراسة آراء وأقوال الرجال الكثيرة التي ملأت جوف الكتب الضخمة، وإنما المراد: الفهم الصحيح المبني على الأدلة الشرعية، فمن أراد الله به خيرا يفقهه في الدين، كما قال صلى الله عليه وسلم:(من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، فقد يكون الإنسان قليل الاطلاع، وربما لم يطلع إلا على المتون ولا يعرف من الشروح شيئا، لكن يرزقه الله فهما صحيحا ثاقبا، فيفقه في الدين، وأفاد طلاب العلم ونفعهم بعلمه..)
- قال العلامة محمد أمان الجامي رحمه الله:(ثم إن هذا الهذيان الذي تجدونه في حاشية البيجوري وأمثالها هو الذي يصفه الشطي بقوله: (إن التقليد سنة قديمة ومعروفة).

هكذا ينخدع من لا يفرق بين التمرة والجمرة! رزقنا الله وإياه وإياكم البصيرة في ديننا، وكأن الشطي يحسب أن كل ما كتب على ورق أصفر قديم مسوس أنه سنة قديمة! وهذا من المفاهيم الحديثة المبتكرة عند الشطي وأمثاله..) انتهى من الحكم على الشيء فرع عن تصوره ضمن مجموع الشيخ في العقيدة والسنة ص358.

- وقال كما في قرة عيون السلفية بالأجوبة الجامية ص44:(لا يكون هدف الشباب إذا اجتمعوا بطالب علم يسألون دون بحث منهم في المراجع، خاصة طالب العلم ممن تخرج من الجامعات، الذين وصلوا إلى المرحلة الجامعية، فهذا ما يحتاج إلا إلى مجرد توجيه فقط، خذ التوجيه واقرأ وادخل المكتبات واستفد وسجل واكتب، فهناك العلم) انتهى
- وقال كما الصفات الإلهية ص232:(هكذا يجب أن يعد العدة كل طالب علم، ويستحضر الأجوبة على كل سؤال مقدر، وخصوصا في هذا الزمن، زمن الكلام الكثير والعمل القليل، بصرف النظر هل هذه الأسئلة واردة أو غير واردة، أو هل هي مستساغة أم لا..) انتهى، وهذا يفيد المرء في حسن التعليم والجواب، وفي مقابلة الجهل بالعلم لا بالجفاء والغلظة، كما في ترجمة غلام الخلال من طبقات الحنابلة أن رافضيا سأله عن قوله تعالى:(والذي جاء بالصدق وصدق به) من هو؟ فقال له: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فرد عليه وقال: بل هو علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، فهم به الأصحاب، فقال: دعوه ثم قال: اقرأ ما بعدها:(لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا..) وهذا يقتضي أن يكون هذا المصدق ممن له إساءة سبقت، وعلى قولك أيها السائل لم يكن لعلي إساءة، فقطعه.

قال ابن أبي يعلى: وهذا استنباط حسن لا يعقله إلا العلماء، فدل على علمه وحلمه وحسن خلقه، فإنه لم يقابله على جفائه بجفاء، وعدل إلى العلم. انتهى.

وقد قال ابن عقيل كما في ترجمته من ذيل الطبقات:(عندي أن من أكبر فضائل المجتهد: أن يتردد في الحكم عند تردد الحجة والشبهة فيه، وإذا وقف على أحد المترددين دله على أنه ما عرف الشبهة، ومن لا تعترضه شبهة لا تصفو له حجة، وكل قلب لا يقرعه التردد، فإنما يظهر فيه التقليد والجمود على ما يقال له ويسمع من غيره.) انتهى، ولعل هذا من أسباب تعظيمه لأحمد.

- قال الزركشي في النكت :"قال الحافظ أبو بكر الإسماعيلي في المدخل: وهذا لأنه قد يخطر على قلب المسؤول عن الرجل من حاله في الحديث وقتا ما ينكره قلبه، فيخرج جوابه على حسب الفكرة التي في قلبه، ويخطر له ما يخالفه في وقت آخر فيجيب عما يعرفه في الوقت منه، قال: وليس ذلك بتناقض ولا إحالة ولكنه صدر عن حالين مختلفين عرض أحدهما في وقت والآخر في غيره"
- من ثمرات الاجتهاد: قال السبكي في طبقاته:(أوقفني بعض فقهاء أبناء الزمان على نحو سبعة عشر حديثا وقعت له من طرق جماعة من الفقهاء الشافعيين، وهو قد تبجح بها وأفردها بمجموع وظن أنه قد أتى بمدفوع عن سواه وممنوع، وما حسب أن سهر الدجى يطلع على أنجم غائبة، ودأب القلب يوصل إلى ما تتقاصر عنه السهام الصائبة، والجد في السعي يتعالى بنفسه عن أن يطلع إلا شموسا بعد أقمار، ويستخرج ما يقل له أن يكتب بسواد الليل على بياض النهار..) اهـ
- التصدر ليس مذموما بإطلاق، قيل: يا رسول الله، هذا الشرك قد عرفناه فما الكبر؟ -قال-: أن يكون لأحدنا نعلان حسنتان لهما شراكان حسنان؟ قال: لا، قال: هو أن يكون لأحدنا أصحاب يجلسون إليه؟ قال: لا، قيل: يا رسول الله فما الكبر؟ قال: (سفه الحق وغمص الناس) وعند ابن سعد أن ابن عباس رضي الله عنهما قال لسعيد بن جبير: حدث، فقال: أحدث وأنت ها هنا؟ قال: أو ليس من نعمة الله عليك أن تحدث وأنا شاهد؟! فإن أخطأت علمتك.

نقل أبو مالك الرحبي عن ابن عثيمين قوله عن أحد دروسه: الدرس اليوم كان مفيدا فلعلك تبحث عمن سجله حتى ننسخه منه...

ولا عجب فشيخنا حريص على نشر علمه ويتعبد لله بذلك. اهـ

- من العلم ما يُحفظ، ولا يُفهم على وجهه إلا بعد مرور الزمن وحصول التجربة وتجدد الأحداث، ففي البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نتحدث بحجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا، ولا ندري ما حجة الوداع!

وسمع فضال النبي صلى الله عليه وسلم يقول:(فإنك تحمل على القوي والضعيف والرطب واليابس) فلم يعرف الرطب واليابس إلا لما غزو قبرس! رواه ابن حبان مطولا.

ومما له تعلق بهذا: قال العلامة محمد أمان الجامي رحمه الله في بعض المسائل الدقيقة:(ودع عنك هذا الآن وكون نفسك وادرس، ولعلك مع تقدمك في:

١: العلم،

٢: وتقدمك في السن،

٣: وكثرة السماع،

تتضح حتى تفهم هذه المسائل، وهي من الصعوبة بمكان بالنسبة لصغار الطلبة، لأنها تزيدهم تشويشا وغموضا، لذلك عليكم بطلب العلم وتجنب مثل هذه الأمور الصعبة حتى تتمكنوا علميا.) قرة عيون السلفية بالأجوبة الجامية ص102

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله عن بعض أبيات ألفية ابن مالك:(هذا البيت والذي بعده قرأناه على شيخنا عبد الرحمن بن السعدي عدة مرات وعجزنا عن فهمه وتركيبه! وتمثلنا بقول الشاعر:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه ** وجاوزه إلى ما تستطيع

وكفى بنا أن نعرف معنى البيتين الأوليين، وأما ما ذكره هنا يقول:

وأظهر إن يكن ضمير خبرا ** لغير ما يطابق المفسرا

نحو أظن ويظناني أخا ** زيداً وعمراً أخوين في الرخا

فنقول: الحمد لله على رخائه ونعمته أننا لم نكلف بمعرفة هذين البيتين!) انتهى.

قال ابن جني: "وقال لنا أبو علي يوما: قال لنا أبو بكر: إذا لم تفهموا كلامي فاحفظوه، فإنكم إذا حفظتموه فهمتموه". [الخصائص 1/216]

- [لا عجلة في العلم]

للترمذي وصححه الألباني عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبيﷺقال: علمني شيئا ولا تكثر علي لعلي أعيه، قال: لا تغضب..

وعند أحمد أن هذا الصحابي هو جارية بن قدامة رضي الله عنه، وقد رواه من مسنده لا من مسند أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال جعفر بن أبي عثمان:(كنا عند يحيى بن معين، فجاءه رجل مستعجل، فقال له: يا أبا زكريا، حدثني بشيء أذكرك به! فقال: اذكرني أنك سألتني أن أحدث فلم أفعل) من ترجمة يحيى بن معين من التهذيب.

وقال وكيع عن يحيى بن يمان:(ما كان أحد من أصحابنا أحفظ للحديث منه، كان يحفظ في المجلس خمسمائة حديث! ثم نسي، ولا أعلم بالكوفة أحدا أحفظ من داود ابنه) من ترجمة يحيى بن يمان من التهذيب، وفي ترجمته من السير أن محمد بن عبدالله بن نمير قال:(كان يحيى سريع الحفظ سريع النسيان) انتهى، والسبب أنه كان يحفظ هذا الكم الهائل، خمسمائة حديث في المجلس الواحد! وقال أحمد الدورقي: سمعت أحمد بن حنبل يقول: نحن كتبنا الحديث من ستة وجوه وسبعة وجوه، لم نضبطه، كيف يضبطه من كتبه من وجه واحد! أو نحو هذا الكلام. انتهى من أول ترجمة في طبقات الحنابلة.

وفي ترجمة أحمد بن خليل القومسي قول أبي بكر بن عياش:(قرأت القرآن على عاصم بن أبي النجود فكان يأمرني أن أقرأ عليه كل يوم آية لا أزيد عليها ويقول: إن هذا أثبت لك فلم آمن أن يموت الشيخ قبل أن أفرغ من القرآن فما زلت أطلب إليه حتى أذن لي في خمس آيات كل يوم.)

- في الآداب الشرعية لابن مفلح:(قال حنبل سمعت أبا عبد الله يقول: إنما يحيا الناس بالمشايخ، فإذا ذهب المشايخ فماذا بقي؟ وقال الحافظ تقي الدين بن الأخضر في تسمية من روى عن أحمد: قال البخاري: سمعت أحمد بن حنبل يقول: إنما الناس بشيوخهم فإذا ذهب الشيوخ فمع من العيش؟) انتهى، وقال أبو حاتم: قال ابن المبارك لما نعي المفضل بن يونس: وكيف تقر العين بعد المفضل؟!، وفي ترجمة هناد بن السري من السير: قال أحمد بن سلمة النيسابوري: سمعت هناد بن السري غير مرة إذا ذكر قبيصة قال: الرجل الصالح، وتدمع عيناه.
- (إلا فهما يؤتيه الله عبدا في كتاب الله) قال محمود شاكر في مقالاته ٢\834:

الألفاظ اللغوية التي يتداولها أهل كل لسان من الألسنة الكثيرة في هذا العالم ليست إلا رموزا محدودة بحروفها, يراد بها وجه من وجوه الدلالة على معان كثيرة، وهذه المعاني التي تدل عليها الألفاظ تختلف اختلافا كبيرا في فهم رجلين متقاربين متعاصرين وذلك لأن الألفاظ اللغوية بحدها الذي تحده به المعاجم ليس لها عمل البتة إلا إثارة المعاني في نفس قارئها أو سامعها، وهذا السامع أو القارئ يتحين أحيانا لمعانيه, فإذا هزته الألفاظ أخرجت من مكامنها تلك الأفكار الكثيرة المتشابكة المتداخلة التي لا تنتهي، والتي تنام دائما في واعية العقل -أو ما يسمونه العقل الباطن- وعندئذ لا يُبْقِي اللفظ اللغوى معناه المحدود بالمعجم، بل ينطلق في مذاهب لا تنتهي كل معنى منها يركب معنى آخر أو يتعلق به أو يتولد منه. انتهى

- وقال أحمد: ما رأت عيناي مثل وكيع قط، يحفظ الحديث جيدا، ويذاكر بالفقه فيحسن، مع ورع واجتهاد، ولا يتكلم في أحد. من ترجمة وكيع من تهذيب الكمال
- سأل علي بن خشرم وكيعا -وكان من أحفظ الناس-عن أدوية الحفظ، فقال: إن علمتك الدواء استعملته؟ قال:إي والله، قال: ترك المعاصي، ما جربت مثله للحفظ. من ترجمة وكيع أيضا

- ومن ترجمته من السير قصة أنه روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يمت حتى ربا بطنه وانثنى خنصراه، فاستدعى الرشيد عبدالمجيد بن أبي رواد وسفيان بن عيينة، فقال عبدالمجيد: يجب أن يُقتل! فإنه لم يرو هذا إلا من في قلبه غش للنبي صلى الله عليه وسلم، وقال سفيان: لا يجب أن يُقتل، رجل سمع حديثا فرواه.. فكان وكيع إذا ذُكر له فعل عبدالمجيد قال: ذاك رجل جاهل سمع حديثا لم يعرف وجهه فتكلم بما تكلم.انتهى، وفيه عبرة
- قال ابن دقيق العيد في الإحكام ١/٢٢٣:

الشيء ينفى لانتفاء ثمرته والمقصود منه، فيقال: "فلان ليس بإنسان" إذا لم يفعل الأفعال المناسبة للإنسانية، ولما كان المقصود من العلم العمل به جاز أن يقال لمن لا يعمل بعلمه إنه جاهل غير عالم. انتهى

- لما أخذ الوليد بن مسلم في التصنيف أتاه شيخ من شيوخ المسجد فقال: يا فتى، خذ فيما أنت فيه، فإني رأيت كأن قناديل مسجد الجامع قد طفيت فجئت أنت فأسرجتها. انتهى من ترجمة الوليد بن مسلم من تهذيب الكمال.
- ظهر الشيطان للجيلاني وهو يصلي في أنوار وعلى عرش عظيم، فقال للجيلاني: أنا ربك وقد أحللت لك ما حرمت على عبادي، فقال الجيلاني: اخسأ عدو الله، فقال الشيطان: نجوت مني بفقهك وعلمك.. بتصرف من قاعدة جليلة ص88
- عند ابن حبان ٧/٧٧٤ عن أحمد بن سنان قال:(سألت عبدالرحمن بن مهدي فقلت: يا أبا سعيد، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها؟ قال: نعم، عن مثل هذا فاسأل، عن مثل هذا فاسأل..)
- قيل لأبي جعفر المدني رحمه الله -وهو أحد القراء العشرة-: هنيئا لك بما آتاك من القرآن، فقال: ذاك إذا أحللت حلاله وحرمت حرامه وعملت بما فيه.. من ترجمته من معرفة القراء الكبار للذهبي.
- قال الجرجاني في التعريفات:(الإتقان: معرفة الأدلة بعللها، وضبط القواعد الكلية بجزئياتها، وقيل: معرفة الشيء بيقين) وقال:(الاستنباط: استخراج المعاني من النصوص بفرط الذهن وقوة القريحة)
- قال أبو بكر بن مجاهد عن أبي عمرو بن العلاء رحمهما الله:(كان أبو عمرو مقدما في عصره، عالما بالقراءة ووجوهها، قدوة في العلم باللغة، إمام الناس في العربية، وكان مع علمه باللغة

وفقهه في العربية متمسكا بالآثار لا يكاد يخالف في اختياره ما جاء عن الأئمة قبله، متواضعا في علمه.. ولم تزل العلماء في زمانه تعرف تقدمه..)

- [من علمني حرفا كنت له عبدا]

روى الخطيب في الفقيه والمتفقه ص٥٩١ عن محمد بن علي الأدفوي:

إذا تعلم الإنسان من العالم واستفاد منه الفوائد فهو له عبد، قال الله تعالى:(وإذ قال موسى لفتاه) وهو يوشع بن نون، ولم يكن مملوكا له، وإنما كان متلمذا له متبعا له، فجعله الله فتاه لذلك. انتهى.

- في ترجمة العلامة حمود التويجري رحمه الله الذي كتبه السدحان:(وكان رحمه الله تعالى يشترط على من يرغب التتلمذ عليه شرطين إن وفّى بهما وإلّا فلا يقربن حلقته:

الأوَّل: أن يحضر إلى المسجد بعد سماع الأذان مباشرة، ومن أقيمت الصلاة وليس في المسجد فلا مقام له عنده.

الثاني: أن يتحلّى بحلية طالب العلم في مَنطِقه وفعله ومخالطته.) انتهى.

- قال الزرنوجي:(ينبغي لطالب العلم أن يكون متأملا في جميع الأوقات في دقائق العلوم ويعتاد ذلك، فإنما تُدرَك الدقائق بالتأمل، ولهذا قيل: تأمل تدرك) انتهى،

وقال محمود شاكر في جمهرة مقالاته ٢/٦٩٤:(فما من كلمة يكتبها أحدنا اليوم إلا ويصبح وقد بدا له فيها، وهذا هو السر في تجدد العلم، وهو سر العقول النابغة التي لا تفتر ولا تمل) انتهى، ومن أمثلة التأمل ما رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الترغيب عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال رجل: يا رسول الله أوصني، قال: لا تغضب، قال: ففكرت حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال، فإذا الغضب يجمع الشر كله. انتهى

ومما له تعلق: قال أبو العباس أحمد بن يحيى:(لا يكون الرجل عالما حتى يتعلم، ولا يكون عالما إن لم يعلم إلا ما تعلم!) الفقيه والمتفقه ص٦٩٨

- قال العلامة البسام رحمه الله معلقا على حديث:(تنكح المرأة لأربع..):(في الحديث أن الإنسان لا ينبغي له أن يكون الناس هم قدوته، ولا أن تكون أعمالهم هي المرغوبة عنده، فالنبي صلى الله عليه وسلم ذكر في هذا الحديث أن ثلاثة أصناف من الناس مخطئون في اختيارهم لصفات الزوجة وأن صنفا واحدا هو المصيب)

- لا تستبد بالعالم، قال ابن عثيمين في شرح بلوغ المرام شارحا حديث:(فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس):(إذا كان يحزن القوم فالحكم يدور مع علته وجودًا وعدمًا، كل إنسان إذا جلس مع عالم أو مع أمير أو مع وزير.. كل إنسان يحب أن يكون له معه كلام، ويأتي إنسان

جنب هذا الكبير ويتحدث معه والآخرون لا يتكلمون! لا شك أن هذا يحزنهم، ولهذا دائمًا إذا وقع مثل ذلك ألقوا باللوم على صاحبهم، قالوا: لما استبددت بهذا الرجل؟..)

- في تاريخ ابن أبي خيثمة: قال عبدالله بن أبي موسى التستري: حيثما كنت فكن قرب فقيه..
- قال محمود شاكر في جمهرة مقالاته ٢\650: من أجلّ النعم التي أنعم الله بها على الإنسان نعمة العقل، وأجل ما ينعم بهِ على هذا العقل بساطة التفكير والرجوع فيه إلى الحرية والإنصاف والاعتدال والسماحة، وأسوأ ما يعترى هذا العقل من الأدواءِ التي تزيد في شقاء الإنسان، هذا التعقيد الذي يسمونهُ فلسفةً تدليسًا على العقل نفسه. والحقيقة التي يجب على كل إنسان أن يعتقدها في نفسه وقلبه أن التفكير البسيط الواضح الهادئ الجرئ المتثبّت هو أعلى درجات الفلسفة وأشرف منازل الحكمة. وكانت حكمة الأولين وفلسفتهم تعتمد في مجموعها على هذه البساطة، وذلك لصفاء القلوب وتفرُّغها لطب الحقيقة من ناحية، ثم قلة العلوم وانضمامها من ناحية أخرى. فلما اتسع العالم في الحضارة ونهض العلم واستبحر حتى وصل إلى الحالة التي نراها اليوم، اتسعت الشهوات وغلبت على القلوب وشغلتها عن طلب الحقيقة والتفرُّغ لها والتوت بها في مسالك الضلال والغي
- قال محمود الطناحي كما في مقالاته ٢/٥٢٣:(ولقد كان من وصاة شيخنا محمود محمد شاكر عليه رحمة الله أن نقرأ الكتب كاملة، وألا نتعامل معها تعامل المراجع والمصادر، نأخذ حاجتنا ونمضي كالطائر العجل يحسو من الماء حسوة ثم ينطلق في فضاء الله..) انتهى
- قال ابن دقيق العيد:(والجدلي في طرائق التحقيق، سالك على محجة مضيق..) الإحكام ١/١٢٦
- وقال ١/٢٥٨:(على طالب التحقيق في هذا ثلاث وظائف:

أحدها: أن يجمع طرق هذا الحديث ويحصي الأمور المذكورة فيه ويأخذ بالزائد فالزائد، فإن الأخذ بالزائد واجب.

وثانيها:... فلينظر عند التعارض أقوى الدليلين فيعمل به.

وثالثها: أن يستمر على طريقة واحدة، ولا يستعمل في مكان ما يتركه في آخر، فيتثعلب نظره، وأن يستعمل القوانين المعتبرة في ذلك استعمالا واحدا..) انتهى.

- قال السيوطي في الفارق بين المصنف والسارق:

وإنما للمجتهدين في تصانيفهم أمران: استنباط مسلمة لهم لم يُسبقوا إلى استنباطها من حديث وقرآن، واستدلال بآية أو حديث على مسألة سابقة قد تطرقها النكران، ولهذا ذكر قوم من الخصائص ما لم يورد في الكتب الفقهية آخذين بها من الآثار والأحاديث المروية. انتهى.

وقال العلائي في المجموع المذهب ١/٢٠٦:(حتى أن من تصدى الآن لتصنيف كتاب مختصر أو مطول لم يكن له موقع ولا عليه معول، وإنما ينبغي الاهتمام بتنقيح المواضع المقفلة، وتوضيح الأمور المجملة، وسلوك الطريق التي هي في الأكثر مهملة) انتهى.

- نقل الزرقاني في شرح الموطأ عن الأبي قوله:(الفقه: جمع أحاديث الباب، فحق الناظر أن يستحضر جميعها، وينظر أخصها فينيط الحكم به..)
- قال العلامة زيد المدخلي رحمه الله:(فإن تصنيف الكتب لا يتم إلا بعد النظر في الكتب، وإن النظر في الكتب طلب للعلم) انتهى من الجهد المبذول ١/١٨، وقال في الصفحة التي تليها:(العلم لا يحفظ إلا بالتقييد غالبا).
- قال الخطيب البغدادي رحمه الله:

وإذا بان للفقيه نفاذ أحد أصحابه في العلم وحسن بصيرته بالفقه جاز له تخصيصه دونهم وأثرته عليهم. انتهى من الفقيه والمتفقه ص٦٦٥

- ولكن: روى أبو خيثمة في العلم عن حبيب بن أبي ثابت رحمه الله قال: (من السنة إذا حدث الرجل القوم أن يقبل عليهم جميعا، ولا يخص أحدا دون أحد)
- قال محمود شاكر رحمه الله في جمهرة مقالاته ٢/٧٧٨:(وهذا عجيب في كثير ممن يؤلف في عصرنا هذا، فقد رأيت في كتبنا كثيرا من هذا السمو في الفكرة، والسقوط في أدلتها وبراهينها، ثم في توجيهها وتطبيقها).
- وقال ص٧٨٦:(وأننا لا نستعمل الطريقة التجارية الأمريكانية في تقسيم الأشياء وترتيبها وهندمتها وتزيينها للإغراء لا للفائدة)
- خاض الصحابة في الناس الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، قال العلامة ابن حميد رحمه الله:(وفيه دليل على جواز البحث في المسائل العلمية وإن لم يكن عند الإنسان فيها علم متيقن، لا بأس أن تقول: لعل الحكم كذا، لكن لا تجزم، بل تقول: لعله يجوز، لعله يحرم، لا مانع، أما أن تجزم بأن هذا حلال وهذا حرام بدون دليل فهذا لا يجوز.) انتهى من شرح كتاب التوحيد ص٦٧.
- القرآن "معجز في:

١: جمال تركيبه وحسن أسلوبه،

٢: وبديع معانيه،

٣: ودقة أحكامه،

٤: وقوة حججه،

٥: وسمو أهدافه ومقاصده،

٦: وفصاحة ألفاظه،

٧: وترابط آياته،

وغير ذلك من صفات الكمال.." انتهى من الجهد المبذول للعلامة زيد بن محمد المدخلي رحمه الله ١/١٦٤ طبعة مكتبة الفرقان.

- قال ابن بدران: واعلم أن للمطالعة وللتعليم طرقا ذكرها العلماء وإننا نثبت هنا ما أخذناه بالتجربة ثم نذكر بعضا من طرقهم لئلا يخلو كتابنا هذا من هذه الفوائد

إذا تمهد هذا فاعلم أننا اهتدينا بفضله تعالى أثناء الطلب إلى قاعدة وهي أننا كنا نأتي إلى المتن أولا فنأخذ منه جملة كافية للدرس ثم نشتغل بحل تلك الجملة من غير نظر إلى شرحها ونزاولها حتى نظن أننا فهمنا ثم نقبل على الشرح فنطالعه المطالعة الأولى امتحانا لفهمنا فإن وجدنا فيما فهمناه غلطا صححناه ثم أقبلنا على تفهم الشرح على نمط ما فعلناه في المتن ثم إذا ظننا أننا فهمناه راجعنا حاشيته إن كان له حاشية مراجعة امتحان لفكرنا فإذا علمنا أننا فهمنا الدرس تركنا الكتاب واشتغلنا بتصوير مسألة في ذهننا فحفظناه حفظ فهم وتصور لا حفظ تراكيب وألفاظ ثم نجتهد على أداء معناه بعبارات من عندنا غير ملتزمين تراكيب المؤلف ثم نذهب إلى الأستاذ للقراءة وهنالك نمتحن فكرنا في حل الدرس ونقوم ما عساه أن يكون به من اعوجاج ونوفر الهمة على ما يورده الأستاذ مما هو زائد على المتن والشرح وكنا نرى أن من قرأ كتابا واحدا من فن على هذه الطريقة سهل عليه جميع كتب هذا مختصراتها ومطولاتها وثبتت قواعده في ذهنه وكان الأمر على ذلك ثم إن الأولى في تعليم المبتدىء أن يجنبه أستاذه عن إقرائه الكتب الشديدة الاختصار العسرة على الفهم. انتهى

- ذكر ابن القيم في الإعلام من وجوه فضل الصحابة: ولا حاجة بهم إلى النظر في الإسناد وأحوال الرواة وعلل الحديث والجرح والتعديل، ولا إلى النظر في قواعد الأصول وأوضاع الأصوليين، بل قد غنوا (1) عن ذلك كله، فليس في حقهم إلا أمران:

أحدهما: قال الله [تعالى] (2) كذا، وقال رسوله كذا.

والثاني: معناه كذا وكذا، وهم أسعد الناس بهاتين المقدمتين، وأحظى الأمة بهما (3) فقواهم متوفرة (4) مجتمعة عليهما، وأما المتأخرون (5) فقواهم متفرقة، وهممهم متشعبة، فالعربية وتوابعها قد أخذت من قوى أذهانهم شعبة، والأصول [وقواعدها قد أخذت منها شعبة] (6)، وعلم

الإسناد و [أحوال] (6) الرواة [قد أخذ منها] (6) شعبة، وفكرهم في كلام مصنفيهم وشيوخهم على اختلافهم وما أرادوا به قد أخذ منها شعبة، إلى غير ذلك من الأمور، فإذا وصلوا إلى النصوص النبوية إن كان لهم همم تسافر إليها وصلوا إليها بقلوب وأذهان قد كلت من السير في غيرها، وأوهن قواها (7) مواصلة السرى في سواها، فأدركوا من النصوص ومعانيها بحسب [تلك] (8) القوة، وهذا أمر يحس به الناظر في مسألة إذا استعمل قوى ذهنه في غيرها، ثم صار إليها وافاها بذهن كال وقوة ضعيفة (9).... والمقصود أن الصحابة أغناهم الله تعالى عن ذلك كله (4)، فاجتمعت قواهم على تينك المقدمتين فقط، هذا إلى ما خصوا به من قوى الأذهان وصفائها، وصحتها وسرعة إدراكها (5)، وكماله، وكثرة المعاون، وقلة المعاوق (6)، وقرب العهد بنور النبوة، والتلقي من تلك المشكاة النبوية. اهـ وقد يفيد في هذا المعنى ما جاء في مقال عن الإبداع لبعض الكتاب المحدثين:

ومن الجلي أننا إذا شئنا أن تطفو الاستبصارات إلى لاشعورنا فإننا بحاجة إلى أن نكون قادرين على الاستسلام للعزلة.

في هذه العزلة تكون الفكرة معنا لكننا منشغلون بها انشغالا غير مباشر، أو كما تقول دورثي كانفيلد:

"يمارس المبدع حياته بينما تمارس الفكرة حياتها بداخله"

ربما علينا أن نتذكر أن الأفكار لا تأتي للشخص الخطأ ولا تضل طريقها، إنها تعرف صاحبها جيدا، ذلك الذي ظل يفكر بها كثيرا ويبحث عنها، إنها تأتي وفق نموذج أحد عناصره الأساسية هو التزامنا الخاص، فعالم الرياضيات لن تأتيه استبصارات بشأن دراسة في علم النفس أو العكس، إننا نحظى بلحظات من الاستبصار في الموضوعات التي كرّسنا لها معظم فكرنا الواعي والنشط، لتأتي الفكرة وتكمل الصورة أو النموذج الناقص الذي نحاول إنهاءه وتنير لنا ما كان مظلما. اهـ

- قال بعض الكتاب العصريين:

لا يوجد بالأساس ما يمكن أن ندعوه "قراءة سريعة"، إنّه "وهم" ابتكره البعض لكي يُخرج بعض الجنيهات من حافظتك كي تحضر مساقا للقراءة السريعة، كلما كان الموضوع معقدا وصعبا كان عليك أن تقرأ بتأنٍّ، بل ربما تحتاج إلى التراجع قليلا لتحقيق فهم أفضل، يقول أحد أساتذة الفلسفة لطلّابه: "نقد العقل المحض لكانط؟ هذا كتاب يمكن أن تقرأه 11 مرة، لكن لا تقلق، في المرة العاشرة سوف تشرع بفهمه"، بالطبع قد يكون مبالغا قليلا، لكنه يمسك بالفكرة المهمة هنا.
القراءة هي بالفعل مهارة تنمو مع الوقت وبالممارسة، لكن سرعتك فيها لا تتحسن بقدرات برمجية عصبية تصويرية كما يزعم البعض، ولكن في ثلاث حالات: الأولى أن تقرأ في الكتاب

نفسه أكثر من مرة، سيتحسّن الحال بوضوح مع كل مرة، وهذه مشكلة رئيسية، فالبعض يظن أنه طالما أن القراءة الأولى كانت مستحيلة، فمثيلاتها ستكون كذلك، هذا غير صحيح.
أما الحالة الثانية فهي أن تقرأ في الموضوع نفسه لمرات متتالية، عندها سوف تتعود مصطلحاته ويكون الكتاب الخامس مثلا في المجال نفسه أسهل كثيرا وبفارق واضح من الكتاب الأول، أما الحالة الثالثة فهي أن تقرأ للكاتب نفسه أكثر من مرة، هنا سوف تعتاد أسلوبه في الكتابة، وفلسفته، والمفاهيم التي غالبا ما يكررها. انتهى

- قال السبكي:(فإنما يتلف السلاطين فسقة الفقهاء فإن الفقهاء ما بين صالح وطالح فالصالح غالبا لا يتردد إلى أبواب الملوك والطالح غالبا يترامى عليهم ثم لا يسعه إلا أن يجري معهم على أهوائهم ويهون عليهم العظائم ولهو على الناس شر من ألف شيطان كما أن صالح الفقهاء خير من ألف عابد ولولا اجتماع فقهاء السوء على المعتصم لنجاه الله مما فرط منه ولو أن الذين عنده من الفقهاء على حق لأروه الحق أبلج واضحا ولأبعدوه عن ضرب مثل الإمام أحمد ولكن ما الحيلة والزمان بني على هذا وبهذا تظهر حكمة الله في خلقه ولقد كان شيخ الإسلام والمسلمين الوالد رحمه الله يقوم في الحق ويفوه بين يدي الأمراء بما لا يقوم به غيره فيذعنون لطاعته ثم إذا خرج من عندهم دخل إليهم من فقهاء السوء من يعكس ذلك الأمر وينسب الشيخ الإمام إلى خلاف ما هو عليه فلا يندفع شئ من المفاسد بل يزداد الحال ولقد قال مرة لبعض الأمراء وقد رأى عليه طرزا من ذهب عريضا على قباء حرير يا أمير أليس في الثياب الصوف ما هو أحسن من هذا الحرير أليس في السكندري ما هو أظرف من هذا الطرز أي لذة لك في لبس الحرير والذهب وعلى أى شئ يدخل المرء جهنم وعذله في ذلك حتى قال له ذلك الأمير اشهد علي أني لا ألبس بعدها حريرا ولا طرزا وقد تركت ذلك لله على يديك فلما فارقه جاءه من أعرفه من الفقهاء وقال له أما الطرز فقد جوز أبو حنيفة ما دون أربعة أصابع وأما الحرير فقد أباحه فلان وأما وأما ورخص له ثم قال له لم لا نهى عن المكوس لم لا نهى عن كذا وكذا وذكر ما لو نهى الشيخ الإمام أو غيره عنه لما أفاد وقال له إنما قصد بهذا إهانتك وأن يبين للناس أنك تعمل حراما فلم يخرج من عنده حتى عاد إلى حاله الأول وحنق على الشيخ الإمام وظنه قصد تنقيصه عند الخلق ولم يكن قصد هذا الفقيه إلا إيقاع الفتنة بين الشيخ الإمام والأمير ولا عليه أن يفتي بمحرم في قضاء غرضه وهذا المسكين لم يكن يخفى عليه أن ترك النهي عما لا يفيد النهي عنه من المفاسد لا يوجب الإمساك عن غيره ولكن حمله هواه على الوقوع في هذه العظائم والأمير مسكين ليس له من العلم والعقل ما يميز به والحكايات في هذا الباب كثيرة ومسك اللسان أولى والله المستعان) اهـ
- وقال في ترجمة المزني بعد ذكره مسألتين استُدركتا عليه:(قالوا: وقد نقل الربيع الصورتين على الصواب وترقت رتبة الربيع من أجل ذلك ونحوه فى المنقول، لأنه يعتمد غالبا ألفاظ الإمام الأعظم، فقل ما تطرق إليه الخطأ، والمزنى رحمه الله ربما أدلى بعلمه وجودة فطنته فغير اللفظ، ومن هناك يؤتى، حتى انتهى الربيع إلى أن تترجح رواياته..) اهـ
- من العقوبات الإلهية التي حلت بمن يؤذون أهل العلم ما تجده في المجموعة الثالثة من كتب التويجري ص١٢٥ إلى ١٢٧، فانقله لاحقا.

- من أقدم ما وقفت عليه في استعمال لفظ الشيخ بمعنى العالم: قول عطاء: أدركت مشيختنا ابن عباس وجابرا وأبا هريرة وعبيد بن عمير لا يستلمون إلا الحجر الأسود والركن.. ابن أبي شيبة ٨/٤٧٩ وقد يكون منقطعا، وقول الحسن بن مسلم بن يناق: كنت أرمل الثلاثة من الحجر إلى الحجر فأبى أشياخنا وقالوا: امش ما بين الركنين، منهم سعيد بن جبير وطاوس ومجاهد وعطاء. ابن أبي شيبة ٨/٤٦٠
- في ترجمة أم الدرداء من تهذيب الكمال: قال ميمون بن مهران:(ما دخلت على أم الدرداء في ساعة صلاة إلا وجدتها مصلية).

ومع هذا الاجتهاد في العبادة قالت كما في ترجمتها من تهذيب الكمال أيضا:(لقد طلبت العبادة في كل شيء فما أصبت لنفسي أشفى من مجالسة العلماء ومذاكرتهم) وفي ترجمتها أنها قالت:(تعلموا الحكمة صغارا تعملوا بها كبارا) ومعنى تعلم الحكمة في كلامها والله أعلم: تفهمها وعقلها، وقد قال إبراهيم: كانوا يكرهون أن يعلموا الغلام القرآن حتى يعقل.

[أبواب الخير مسدودة إلا من جهة الفقه في الدين! والفقه في الدين هو الرياسة الحقيقية]

قال عمر رضي الله عنه: لا يبع في سوقنا إلا من قد تفقه في الدين.

رواه الترمذي في آخر أبواب الوتر وحسنه الألباني

ورأت أم هارون الرشيد اجتماع الناس على ابن المبارك في الفتوى فقالت: هذا والله الملك، لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان. انتهى من ترجمة ابن المبارك من تهذيب الكمال،

والدليل على أن الفتوى هي الرياسة الحقيقية: حديث: (حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسا جهالا)

ولكن، ليس كل من تفقه في الدين ممن أريد به الخير، ففي الحديث:(خصلتان لا تجتمعان في منافق، حسن سمت ولا فقه في الدين)، فقد يوجد الفقه في الدين عند المنافق، فتبين أن كل من أريد به خيرٌ لا بد أن يفقه، وليس كل من فقه يُراد به الخير، قال ابن تيمية:(والمقصود هنا أن السعادة التي هي كمال البهجة والسرور واللذة ليس هي نفس العلم، ولا تحصل بمجرد العلم، بل العلم شرط فيها، بل لا بد من العلم بالله وبأمره كما قال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين" فكل من أراد الله به خيرا فلا بد أن يفقهه في الدين، فمن لم يفقهه في الدين لم يرد به خيرا، وليس كل من فقهه في الدين قد أراد به خيرا، بل لا بد مع الفقه في الدين من العمل به.) اهـ من [الصفدية ٢/٢٦٦]

[علم الشريعة هو الممدوح بإطلاق لا علوم الدنيا]

قال تعالى: (ولكن أكثر الناس لا يعلمون*يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون)

[كما أن العلم يراد للعمل، فالعمل يراد للعلم، ومن أعظم نعيم الجنة: العلم بالله فيها]

قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم ٢\200:(كمال الدنيا إنما هو في العلم والعمل، والعلم مقصود الأعمال، يتضاعف في الآخرة بما لا نسبة لما في الدنيا إليه، فإن العلم أصله العلم بالله وأسمائه وصفاته، وفي الآخرة ينكشف الغطاء، ويصير الخبر عيانا، ويصير علم اليقين عين اليقين، وتصير المعرفة بالله رؤية له ومشاهدة، فأين هذا مما في الدنيا؟

وأما الأعمال البدنية، فإن لها في الدنيا مقصدين: أحدهما: اشتغال الجوارح بالطاعة، وكدها بالعبادة. والثاني: اتصال القلوب بالله وتنويرها بذكره.

فالأول قد رفع عن أهل الجنة، ولهذا روي أنهم إذا هموا بالسجود لله عند تجليه لهم يقال لهم: ارفعوا رءوسكم فإنكم لستم في دار مجاهدة.

وأما المقصود الثاني، فحاصل لأهل الجنة على أكمل الوجوه وأتمها، ولا نسبة لما حصل لقلوبهم في الدنيا من لطائف القرب والأنس والاتصال إلى ما يشاهدونه في الآخرة عيانا، فتتنعم قلوبهم وأبصارهم وأسماعهم بقرب الله ورؤيته، وسماع كلامه، ولا سيما في أوقات الصلوات في الدنيا، كالجمع والأعياد، والمقربون منهم يحصل ذلك لهم كل يوم مرتين بكرة وعشيا في وقت صلاة الصبح وصلاة العصر، ولهذا لما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة يرون ربهم، حض عقيب ذلك على المحافظة على صلاة العصر وصلاة الفجر؛ لأن وقت هاتين الصلاتين وقت لرؤية خواص أهل الجنة ربهم وزيارتهم له، وكذلك نعيم الذكر وتلاوة القرآن لا ينقطع عنهم أبدا، فيلهمون التسبيح كما يلهمون النفس. قال ابن عيينة: لا إله إلا الله لأهل الجنة، كالماء البارد لأهل الدنيا، فأين لذة الذكر للعارفين في الدنيا من لذتهم به في الجنة.

فتبين بهذا أن قوله: {من جاء بالحسنة فله خير منها} [النمل: 89] [النمل: 89] على ظاهره، فإن ثواب كلمة التوحيد في الدنيا أن يصل صاحبها إلى قولها في الجنة على الوجه الذي يختص به أهل الجنة.

وبكل حال، فالذي يحصل لأهل الجنة من تفاصيل العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ومن قربه ومشاهدته ولذة ذكره، هو أمر لا يمكن التعبير عن كنهه في الدنيا، لأن أهلها لم يدركوه على وجهه، بل هو مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، والله تعالى المسئول أن لا يحرمنا خير ما عنده بشر ما عندنا بمنه وكرمه ورحمته آمين.) انتهى

وقال ص299:(العلم قسمان: أحدهما: ما كان ثمرته في قلب الإنسان، وهو العلم بالله تعالى، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله المقتضية لخشيته، ومهابته، وإجلاله، والخضوع له، ومحبته، ورجائه، ودعائه، والتوكل عليه، ونحو ذلك، فهذا هو العلم النافع، كما قال ابن مسعود: إن أقواما يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب، فرسخ فيه نفع.

وقال الحسن: العلم علمان: علم على اللسان، فذاك حجة الله على ابن آدم، وعلم في القلب، فذاك العلم النافع.

والقسم الثاني: العلم الذي على اللسان، وهو حجة الله كما في الحديث: «القرآن حجة لك أو عليك» ، فأول ما يرفع من العلم: العلم النافع، وهو العلم الباطن الذي يخالط القلوب ويصلحها، ويبقى علم اللسان حجة، فيتهاون الناس به، ولا يعملون بمقتضاه، لا حملته ولا غيرهم، ثم يذهب هذا العلم بذهاب حملته، فلا يبقى إلا القرآن في المصاحف، وليس ثم من يعلم معانيه، ولا حدوده، ولا أحكامه، ثم يسرى به في آخر الزمان، فلا يبقى في المصاحف ولا في القلوب منه شيء بالكلية، وبعد ذلك تقوم الساعة) انتهى.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يواصل الصوم ويقول:(إني يطعمني ربي ويسقيني) قال شيخ الإسلام في شرح العمدة:(وتفسيره في أظهر الوجهين أن الله يغذيه بما يغنيه عن الأكل والشرب المعتاد من العلم والإيمان..) انتهى، فما دام قد حصل في الدنيا من العلم ما يغني البشر عن الطعام والشراب فكيف بما يحصل في الجنة؟!

[بطاعة الله يدفع البلاء وتحل النعم، ومن أعظم الطاعات: طلب العلم الموروث عن محمد صلى الله عليه وسلم]

روى الخطيب في الفقيه والمتفقه ص١١٧ بسنده عن الشافعي:(إن لم يكن الفقهاء أولياء الله في الآخرة فما لله ولي!) وانظر كلام الحسن البصري في بيان من هو الفقيه..

وقد يستفاد هذا المعنى من حديث: (أنا أمنة لأصحابي..الحديث)

وهذه آثار في ذلك:

قال إبراهيم بن أدهم: أصحاب الحديث بهم تُدفع البلوى عن الناس، أو قال: الآفات.

وقال سالم الخواص: البلاء يُدفع عن أهل الأرض بأصحاب الحديث.

وقال يوسف بن أسباط: بطالب الحديث يدفع البلاء عن أهل الأرض.

روى ذلك كله الهروي في [ذم الكلام]

وقال وكيع: عن أبي داود الحفري عمر بن سعد كما في ترجمته من التهذيب: (إن كان يُدفع بأحد في زماننا؛ فبأبي داود).

وقال أبو عثمان الزاهد كما في ترجمة ابن خزيمة من [سير أعلام النبلاء]: إن الله ليدفع البلاء عن أهل نيسابور بابن خزيمة.

وقال عنبسة لأبي قلابة لما سمعه يحدث بحديث العرنيين كما في صحيح مسلم: لن تزالوا بخير يا أهل الشام ما دام فيكم هذا أو مثل هذا..

وقال رجاء بن حيوة كما في ترجمة عبدالله بن محيريز من السير: بقاء ابن محيريز أمان للناس..

وقال سفيان الثوري: إن محمد بن سوقة لممن يدفع به عن أهل البلاد، كان له عشرون ومائة ألف فتصدق بها.. انتهى من ترجمة محمد بن سوقة من التهذيب

وفي ترجمة النعمان -بفتح النون- بن عبدالسلام الأصبهاني رحمه الله من تهذيب الكمال:(فتفقه على مذهب سفيان الثوري وكتب العلم، وكان من أهل الثقة والأمانة، عابدا زاهدا، وهو الذي علم أهل أصبهان الحديث وصنف لهم..) ونقل عن أبي الشيخ قوله:(هو أرفع من روى عن الثوري من الأصبهانيين..) والشاهد من ترجمته على مسألتنا ما يلي:(حكى أبو عبد الله الكسائي الأصبهاني قال: بلغني أن رجلا رأى في النوم كأن ملكا يقول لآخر وهو على سور المدينة: اقلب، فقال: كيف أقلب والنعمان بن عبد السلام قائم يصلي؟!) انتهى

[من العجز المذموم: ترك طلب العلم]

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه مر بسوق المدينة فوقف عليها فقال: يا أهل السوق ما أعجزكم! قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: ذاك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم وأنتم ها هنا! ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه؟ قالوا: وأين هو؟ قال: في المسجد، فخرجوا سراعا ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا، فقال لهم: ما لكم؟ فقالوا: يا أبا هريرة قد أتينا المسجد فدخلنا فيه فلم نر فيه شيئا يُقسم، فقال لهم أبو هريرة: وما رأيتم في المسجد أحدا؟ قالوا: بلى، رأينا قوما يصلون وقوما يقرؤون القرآن وقوما يتذاكرون الحلال والحرام، فقال لهم أبو هريرة: ويحكم! فذاك ميراث محمد صلى الله عليه وسلم... حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب

وعن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال: كنت قائد أبي -رضي الله عنه- حين ذهب بصره، فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة فسمع الأذان استغفر لأبي أمامة أسعد بن زرارة رضي الله عنه ودعا له، فمكثت حينا أسمع ذلك منه، ثم قلت في نفسي: والله إن ذا لعجز، إني أسمعه كلما سمع أذان الجمعة يستغفر لأبي أمامة ويصلي عليه، ولا أسأله عن ذلك لم هو... رواه ابن ماجه وحسنه الألباني

[يا أهل السنة: عجزكم وتفريطكم في معرفة نصوص الكتاب والسنة الصحيحة ومعرفة دلالاتهما، من أكبر أسباب انتشار الباطل في الأمة، فاتقوا الله فيها!]

وذكر الخطيب في الفقيه والمتفقه ص٥٤٩ كلاما خلاصته أن المبتدعة توصلوا إلى الطعن في أهل الحديث السابقين لما رأوه من قلة فقه أهله الذين كانوا في زمن الخطيب..

وقال ص٥٦٣:(وإنما أسرعت ألسنة المخالفين إلى الطعن على المحدثين لحملهم أصول الفقه وأدلته في ضمن السنن، مع عدم معرفتهم بمواضعها، فإذا عُرف صاحب الحديث بالتفقه خرست عنه الألسن وعظم محله في الصدور والأعين وخسيء من كان عليه يطعن) ثم روى بسنده عن وكيع قال:(لقيني أبو حنيفة فقال لي: لو تركت كتابة الحديث وتفقهت أليس كان خيرا؟ قلت: أفليس الحديث يجمع الفقه كله؟ قال: ما تقول في امرأة ادعت الحمل وأنكر الزوج؟ قلت له: حدثني عباد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما (أن النبي صلى الله عليه وسلم لاعن بالحمل)، فتركني، فكان بعد ذلك إذا رآني في طريق يأخذ في طريق آخر. انتهى

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى معدداً بعض أسباب انتشار البدع والانحرافات: (الرابع: العجز والتفريط الواقع في المنتسبين إلى السنة والحديث، تارة يروون ما لا يعلمون صحته، وتارة يكونون كالأميين الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني، ويُعرضون عن بيان دلالة الكتاب والسنة على حقائق الأمور). انتهى من [تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء ٢/٧٥٦]

[يا أهل السنة: لو لم يكن أكثركم مدركا ومتبعا لحقيقة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فستنتشر الانحرافات في أهل العلم والإمارة وعوام الناس]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فظهرت هذه المقالة -المبتدعة- في أهل العلم والكلام وفي أهل السيف والإمارة وصار في أهلها من الخلفاء والأمراء والوزراء والقضاة والفقهاء وغيرهم ما امتحنوا به المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الذين اتبعوا ما أُنزل إليهم من ربهم ولم يبدلوا ولم يبتدعوا،

وذلك لقصور وتفريط من أكثرهم في معرفة حقيقة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه، وإلا فلو كان ذلك كثيراً فيهم؛ لم يتمكن أولئك المبتدعة لما يخالف دين الإسلام من التمكن منهم). [تفسير آيات أشكلت ٢/٧٥٣]

وقال شيخ الإسلام رحمه الله في التدمرية: (وإنما يظهر من البدع أولا ما كان أخفى، وكلما ضعف من يقوم بنور النبوة قويت البدعة..)

وقال في الانتصار لأهل الأثر ص197:(وهذا سبب ظهور البدع في كل أمة وهو خفاء سنن المرسلين فيهم وبذلك يقع الهلاك..)

[لأن كثيرا من الشباب لا يقرؤون كتب السلف لا تنتهي هذه الأسئلة!]

سئل العلامة ربيع المدخلي حفظه الله: نرجوا أن توضحوا لنا كيفية منهج الولاء والبراء مع المسلمين، وهل يعني البراء ممن أخطأ الطريق اجتنابه وعدم السلام عليه وعدم عيادته عند مرضه أو تشييعه عند موته؟ بصرونا بصركم الله بهداه.

الجواب: الإجابة على هذا السؤال تجدونها وافية كافية فيما دونه السلف، ولأن كثيرا من الشباب لا يقرؤون كتب السلف لا تنتهي هذه الأسئلة، أو أنهم يقرؤون ويريدون منهجا غير هذا، لأن هذا لا يعجبهم ولا يروق في نظرهم. انتهى من مجموع الشيخ ربيع ١٤/٣٣٤

[اجعل للعلم والدعوة أنفس وقتك، ولا تجعل لهما فضول وقتك]

قال عكرمة: إني لأخرج إلى السوق فأسمع الرجل يتكلم بالكلمة، فينفتح لي خمسون بابا من العلم! انتهى، وهذا دليل على أنه شغل نفسه بالعلم، فصار هو غالب تفكيره، وشغل نفسه بضم نظائر العلم إلى بعضها حتى صار هذا طبعا له وسجية..

وفي ترجمة أبي البقاء العكبري من ذيل الطبقات قول ابن النجار: وكان محبا للاشتغال والإشغال، ليلا ونهارا، ما يمضي عليه ساعة إلا وواحد يقرأ عليه، أو يطالع له، حتى ذكر لي: إنه بالليل تقرأ له زوجته في كتب الأدب وغيرها

قال أبو بكر الخلال كما في ترجمته من طبقات الحنابلة: ينبغي لأهل العلم أن يتخذوا للعلم:

1: المعرفة له

2: والمذاكرة به

3: ومع ذلك كثرة السماع وتعاهده

4: والنظر فيه. اهـ

قال السبكي في مقدمة طبقات الشافعية الكبرى بعد ما أورد طرفا من أخبار التتار:(ومن الناس من أفرد التصانيف لأخبارهم، ويكفي الفقيه ما أوردناه، فأوقات طالب العلم أشرف أن تضيع في أخبارهم، إلا للاعتبار بها، وما أوردناه عبرة للمعتبرين وكاف للمتعظين) اهـ وفي ترجمة حسين الكرابيسي من طبقاته حكاية عن الشافعي فيها:(فقرأت عليه -على مالك- حتى بلغت كتاب السير، فقال لي: اطوه يا ابن أخي، تفقه تعل) اهـ

قال العلامة زيد بن محمد المدخلي رحمه الله معلقاً على حديث: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ..»:

(وغيره من الأحاديث التي فيها الترغيب الذي يحمل المؤمنين على:

١: صنع حلقات العلم،

٢: وعلى مذاكرة العلم بين الأقران،

٣: وعلى أخذه من أهله،

ولا يجعلون لذلك فضول الأوقات، بل يجعلون له من أغلى الأوقات؛ لأنه لا تستنير الطريق ولا يتضح الحق من الباطل والسنة من البدعة والخير من الشر إلا بالعلم، وهو الأساس لجلب كل خير دنيوي وبرزخي وأخروي، ودفع كل شر كذلك.)

[التعليقات الحسان على أصول الإيمان ص١٦٨]

وقال أيضا رحمه الله تعالى:

(وليس من الإنصاف للعلم أن يُعطى من الأوقات التي لا حاجة إلى العمل فيها، وإنما يُختار للعلم وتحصيله أغلى الأوقات وأفضلها، وهذا دأب الصالحين الذين حفظ الله بهم العلوم الشرعية وكافة وسائلها، ولولا الله ثم هذا الصنف من الناس ما أبصر الناس طريقهم إلى الله عز وجل على مراده ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم؛ فالعلم لا ينزل وحياً إلا على الرسل والأنبياء، ولم ينزل على القلوب كما يدعي أهل التصوف ومن درس على أيديهم وأخذ علومهم، كجماعة التبليغ ومن لف لفهم، الذين لا يحبون أن يجلسوا في مجالس الحديث، قال الله وقال رسوله صلى الله عليه وسلم) انتهى من [السبيكة الذهبية حلية العقيدة الواسطية ص١٥٦]

وقال العلامة أحمد النجمي رحمه الله ضمن آداب الداعية:

١٤: بذل الوسع والطاقة في الدعوة إلى الله، وأن نعطيها من جل أوقاتنا، لا من فضولها، واستغلال المناسبات وتحين الفرص ومتابعة الكلمات، وترتيب القراءات في المساجد وما أشبه ذلك،

والمهم: أن تستولي على همه حتى تكون شغله الشاغل ليل نهار..

فتح الرب الودود في الفتاوى والرسائل والردود ١/١١٩

[يجب أن يعرف المرء من بداية الطريق كيف يمشي، ولا يطلب العلم دون معرفة الباطل والرد عليه، وإلا سيضيع]

قال الشيخ ربيع: "يجب أن يعرف المسلمون من باكورة حياتهم طريق الهدى من طريق الضلال ، يعرف كيف يمشي من أول الطريق، وإذا كان يتعلم هكذا ولا يعرف الشبه ولا يعرف الرد عليها يضيع ....

الذي يعني يعلم الناس فقط الخير وما يبين لهم الشر والبدع والضلالات هذا يزرع وتأتي الحيوانات والحشرات تأكل زرعه، ما حصل حماية ..".

[المجموع ١٤/ ٢٦٧]

[وظيفة حملة العلم]

قال العلامة ربيع المدخلي حفظه الله ورعاه كما في المجموع ١٤/٢٢٧:

(فحمل العلم مسؤولية عظيمة، ليست للاسترزاق في الدنيا وكسب المعاش والحصول على الوظائف، إنما أنت قد تحملت وراثة الأنبياء، فوجب عليك أن تخلف الأنبياء في هذه الوظيفة، فتنهض صادعا بها ناصحا لله تبارك وتعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولخاصة المسلمين وعامتهم، و:(من غشنا فليس منا).

فالذي لا يدعو إلى الله، ويكتم العلم، ويرى موجبات الصدع بالحق ماثلة أمامه ثم ينكص على عقبيه فلا يدعو إلى الله تبارك وتعالى، لا شك أنه معرض لوعيد خطير، وسخط ربنا تبارك وتعالى.

فأنصح إخواني أن يتعلموا العلم النافع وأن يدركوا عِظَم المسؤولية وثقلها فيقوموا بها على وجهها ولا يخشوا في الله لومة لائم، ولينقذوا أنفسهم من الخسران.)

[نصيحة طلاب العلم بتعويد أنفسهم على الدعوة من وقت شبابهم، وإلا عسر ذلك لاحقا..]

قال الشافعي بعد أن ذكر صفة العالم الذي يجوز له أن يفتي:(فإذا كان هذا هكذا فله أن يتكلم ويفتي في الحلال والحرام، وإذا لم يكن هكذا فله أن يتكلم في العلم ولا يفتي) الفقيه والمتفقه ص٦٩٤ ولعله في مناقب الشافعي.

قال أحمد: التعليم أحب إلي من أن يتوكل لهؤلاء السلاطين ومن أن يتوكل لرجل من عامة الناس في ضيعة، ومن أن يستدين ويتجر؛ لعله لا يقدر على الوفاء فيلقى الله تعالى بأمانات الناس، التعليم أحب إلي.

المغني 8/ 136 الآداب الشرعية 1/ 104 معونة أولي النهى 6/ 164 بواسطة الجامع لعلوم الإمام أحمد

وقال يحيى بن معين كما في ترجمته من التهذيب: أول بركة الحديث: إفادته.

وفي ترجمة أبي الحسن علي بن محمد بن بشار من طبقات الحنابلة: ما أعيب على رجل يحفظ لأحمد بن حنبل خمس مسائل أن يستند إلى بعض سواري المسجد ويفتي الناس بها.

قال الإمام الألباني:

لا أنصح طلاب العلم أن يبادروا إلى نشر كتبهم ورسائلهم، وإنما عليهم أن يؤلفوا، ما فيه مانع، لأن هذا التأليف قد يمرنهم، قد يحفظ معلوماتهم في كتاب، في رسالة، ويضعوه على الرف.. من مصلحتهم أن يؤلفوا وأن يدخروا ويحبسوا مؤلفاتهم إلى بعد زمن حينما يشعروا بالنضج العلمي. الشريط 288 من سلسلة الهدى والنور

نقل في زاد المسير عن ابن الأنباري: وكل مسلم لا يخلو من الدعاء إلى الله عز وجل، لأنه إذا تلا القرآن، فقد دعا إلى الله بما فيه. اهـ

قال العلامة محمد أمان الجامي رحمه الله:(في قرب تفرقكم في آخر سنة أو في الترم الأول في الفصل الأول، لعل بعضكم يسافر إلى الخارج أو يغادر جامعته إلى أماكن أخرى، لا ينبغي لأمثالكم أن تقضوا إجازتكم وفراغكم في مجرد المتعة و التمشية والتسلي بالمسليات وزيارة الإخوان الزيارة الفارغة عن الدعوة إلى الله، بل يجب أن تستغلوا فراغكم دائما في الدعوة إلى عقيدتكم و تذكير الناس.

أؤكد لكم أن طالب علم في شبابه مثلكم يشتغل في الدعوة والتذكير والحديث مع الناس في حدود علمه، فتكون الدعوة عادة له وطبيعة له وديدنه إذا كبر، وإذا تعود طالب العلم من الآن العزلة، يَدرُسُ ولا يتكلم ولا يكتب ولا ينصح ولا يدعو، ويرى المنكر ولا يقول شيئا ويأمر بالمعروف، فيضيع وقته ولا يتكلم حتى في بيت أهله وعند أصدقائه وفي قريته وفي حيه، إذا عود نفسه هذا من الآن سيستمر حتى يموت لا ينفع الناس ولا يعمل شيئا، التمرين لا بد منه، مرن نفسك من الآن على العمل، على الدعوة والنصيحة،

الداعية الناجح في المستقبل يُعلم من الآن وهو شاب، وفي شبابنا وطلابنا من يظهر عليه أنه يكون -إن شاء الله- داعية صالحا مصلحا إذا نضج وتعلم،

ونظن من يبقى هكذا، باردا، موظفا، يستفيد من علمه فقط في الوظيفة، يتعيش بعلمه وكفى، هذه في الواقع مصيبة، طالب علم يتعلم العلوم الدينية ثم لا ينفع أمته بعلمه! هذا ضياع، وعليه مسؤولية كبيرة، لذلك أنصح شبابنا أن يعودوا أنفسهم من الآن في مجال الدعوة والإصلاح وأن يشتركوا في المعسكرات النافعة -لا معسكرات الأناشيد- ولكن معسكرات علمية فيها المحاضرات والندوات والبحث، وفيها اللقاء مع العلماء وطلاب العلم، ورحلات علمية واجتماعات، كونوا دائما على اتصال بالعلم وأهله، لا تبتعدوا عن كبار العلماء، وبالمناسبة: لو زرتم الرياض في إجازتكم احرصوا على حضور دروس الشيخ عبد العزيز بن باز...) قرة عيون السلفية المطبوع بدار ابن رجب ص٤٨٤-٤٨٥

قال العلامة البسام رحمه الله معلقا على حديث:(فإني مكاثر بكم الأمم):(في الحديث حث العلماء والدعاة إلى أنه ينبغي لهم أن يستكثروا من المستفيدين من علمهم ودعوتهم، وأَعْظِم بذلك، فإن هذا فضل كبير، فقد قال صلى الله عليه وسلم:(لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم) متفق عليه.) انتهى من توضيح الأحكام ٥/٢٥٠.

قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله :

" ويمكن الجمع بين العلم والدعوة في بداية الطريق ونهايته، فإن تعذر الجمع كان البدءُ بالعلم؛ لأنه الأصل الذي ترتكز عليه الدعوة...

ومن ظن أنه لا يمكن الجمع بين العلم والدعوة فقد أخطأ

فإن الإنسان يمكنه أن يتعلم

ويدعو أهله وجيرانه وأهل حارته وأهل بلدته وهو في طلب العلم...

فالذي أنصح به شباب المسلمين أن يكرسوا جهودهم لطلب العلم مع القيام بالدعوة إلى الله بقدر استطاعتهم

وعلى وجه لا يصدهم عن طلب العلم"

مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢٦/٣٣١-٣٣٢)

[من سلك طريقا يلتمس فيه علما..]

قال صلى الله عليه وسلم: من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرا أو يعلمه كان له كأجر حاج تاما حجته.. قال الألباني في الترغيب: حسن صحيح

رئي سفيان الثوري في النوم فقيل له: ما صنع بك؟ فقال: عفا عني حين طلبت الحديث.. رواه ابن أبي الدنيا في المنامات

سئل الطبراني عن كثرة حديثه فقال:(كنت أنام على البواري ثلاثين سنة) البواري جمع بوري وهو الحصير المنسوج، وقد كانت تفرش به المساجد في بعض العصور.

والمعنى: أن حديث الطبراني لم يكثر إلا بتعاهده للسماع من الأشياخ حتى أنه كان ينام في المسجد ليدرك مجالس العلم مدة ثلاثين سنة!

فالأثر بمعنى قول يحيى بن أبي كثير: لا يستطاع العلم براحة الجسم، وبقول يحيى بن أبي كثير هذا استشهد مسلم في صحيحه وابن أبي حاتم في قصة السمكة

[وصف الإمام الطبري رحمه الله حق العلماء من الإجلال والهيبة، وبعض السفهاء يجعل مهابة العلماء شركا أو ذريعة إلى الشرك!] من تهذيب الآثار ٢/٥٤٣

قال رحمه الله:(قوله:(وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير) يعني بذلك البراء: أنهم جلسوا حوله سكوتا لا يتكلمون ولا يضطربون؛ إعظاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإجلالا له، وهيبة منه، وفي ذلك الدليل الواضح على أن حق كل إمام عادل وعالم ومُؤَم أن يُفعل ذلك به، وبذلك جاء الأثر، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعمل به السلف الصالحون) ثم روى حديث:(ويعرف لعالمنا حقه) ثم روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:(كنت أسمع بالرجل عنده الحديث فآتيه فأجلس حتى يخرج فأسأله، ولو شئت أن أستخرجه لفعلت) ثم روى عن غالب القطان قال:(كنا جلوسا بباب الحسن، فجاء رجل من بني نمير فقال: ما يدخل على هذا إلا كما يدخل على الأمراء..) وعن مغيرة قال:(كنا نهاب من إبراهيم كما نهاب من الأمير) وعن عبد الله بن عبيد بن عمير قال:(إذا كان الرجل فقيها هابه الناس).

ويدل لما قاله أيضا ما رواه الترمذي وحسنه الألباني عن عبد الله بن رافع قال:(قلت لأبي هريرة رضي الله عنه: لم كُنيت أبا هريرة؟ قال: أما تفرق مني؟ قلت: بلى والله إني لأهابك، قال: كنت أرعى غنم أهلي، فكانت لي هريرة صغيرة فكنت أضعها بالليل في شجرة، فإذا كان النهار ذهبت بها معي فلعبت بها، فكنوني أبا هريرة)

وقال زكريا الساجي سمعت الزعفراني يقول: قدم علينا الشافعى فاجتمعنا إليه فقال: التمسوا من يقرأ لكم، فلم يجترئ أحد أن يقرأ عليه غيري -وكنت أحدث القوم سنا، ما كان فى وجهى شعرة- وإني لأتعجب اليوم من انطلاق لساني بين يدى الشافعي، وأتعجب من جسارتي يومئذ، فقرأت عليه الكتب كلها إلا كتابين فإنه قرأهما علينا، كتاب المناسك وكتاب الصلاة. اهـ

فإن زادت هذه الهيبة عن حدها فعلى العالم أن ينهى عنها، روى ابن ماجه وصححه الألباني عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فكلمه، فجعل ترعد فرائصه، فقال له:(هون عليك، فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد)، انظر الصحيحة ١٨٧٦

ومن هيبة العالم: هيبته إذا أخطأ، فلا يجوز أن يكون خطأ العالم سببا للجرأة عليه، بل لا بد أن يُتلطف في تنبيهه -إن تيسر تنبيهه- وأن يُسلك في ذلك أحسن السبل، روى البخاري عن مجاهد قال: دخلت أنا وعروة بن الزبير المسجد، فإذا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، جالس إلى حجرة عائشة.. ثم قال له: كم اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: أربعا، إحداهن في رجب، فكرهنا أن نرد عليه.

ولفظه في مسلم: فكرهنا أن نكذبه ونرد عليه.

وروى البخاري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن أباه عبد الرحمن أخبر مروان أن عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما أخبرتاه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم،

وقال مروان لعبد الرحمن بن الحارث: أقسم بالله لتقرعن بها أبا هريرة! -ومروان يومئذ على المدينة- فقال أبو بكر: فكره ذلك عبد الرحمن، ثم قدر لنا أن نجتمع بذي الحليفة، وكانت لأبي هريرة رضي الله عنه هنالك أرض، فقال عبد الرحمن لأبي هريرة: إني ذاكر لك أمرا، ولولا مروان أقسم علي فيه لم أذكره لك، فذكر قول عائشة وأم سلمة..

وفي ترجمة ابن الأنباري من تذكرة الحفاظ: حكى الدارقطني أنه حضره فصحف في اسم، قال: فأعظمت له أن يُحمل عنه وهم، وهبته، فعرفت مستمليه، فلما حضرت الجمعة الأخرى قال ابن الأنباري: إنا صحفنا الاسم الفلاني ونبهنا عليه ذلك الشاب على الصواب.

ومن الطرق الحسنة في تنبيه العالم على خطئه ما ذكره ابن حزم في المحلى: وروينا من طريق سعيد بن منصور نا يعقوب بن عبد الرحمن حدثني موسى بن عقبة عن عبد الله بن عبد الله بن عمر قال: دعوت رجلا وأنا جالس بجنب أبي فأرسلته إلى عائشة أسألها عن الطيب عند الإحرام، وقد علمت قولها ولكن أحببت أن يسمعه أبي، فجاءني رسولي فقال: إن عائشة تقول: لا بأس بالطيب عند الإحرام، فأصب ما بدا لك، فصمت عبد الله بن عمر. اهـ

[الواجب على من أراد أن ينصب نفسه للدعوة...]

قال العلامة عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن رحمهم الله كما في عيون الرسائل ١/٤٧٦:

"فمن أراد أن ينصب نفسه في مقام الدعوة فليتعلم أولا، وليزاحم ركب العلماء قبل أن يرأس، فيدعو بحجة ودليل، ويدري كيف السير في ذلك السبيل، فإن الصناعة لا يعرفها إلا من يعانيها، والعلوم لا يدريها إلا من أخذها عن أهلها وصحب راويها.

ما كل من طلب المعالي نافذا

... فيها ولا كل الرجال فحولا".

[بيان العلامة ربيع المدخلي حفظه الله خطأ قول القائل:(لا أطلب العلم لأن عندي بعض المعاصي) وأن الواجب:طلب العلم والتوبة]

س: نعم، وهذا سؤال آخر أيضاً عبر الشبكة يقول: أيهم أحسن: طلب العلم مع المجاهدة لترك المعاصي -يعني: عنده بعض المعاصي- أو أتوقف حتى أترك المعاصي؟

الجواب: توقف عن المعاصي واطلب العلم، توقف، تُب إلى الله عز وجل من الذنوب، والذنوب تميت القلوب -والعياذ بالله-، فتُب إلى الله عز وجل من المعاصي واطلب العلم -بارك الله فيكم-، فإذا قلت: لا أطلب العلم حتى أتوب، أو حتى أتخلص من المعاصي وأنت متمادٍ في ذلك، فقد لا تصل إلى درجة العلم، فتموت -والعياذ بالله- قبل أن تصل إلى هذه الدرجة.. انتهى من مرحبا يا طالب العلم ص٣٣٨

ونقل أبو مالك الرحبي عن الشيخ ابن عثيمين رحمه الله قوله: إن خطأك وجسارتك على والدك وهروبك من المنزل وتركك لدراستك وتغيير نَسَبِك، كل ذلك لا يجوز أن يمنعك من طلب العلم. اهـ

[فوائد مجالسة علماء السنة ولو فرضنا أن في بعضهم ضعفا علميا في جانب ما]

"من ساق الشيوخ المتأخرين مساق الصدر الأول، وطالبهم بطرائقهم، وأراد منهم ما كان عليه الحسن البصري وأصحابه مثلاً من العلم العظيم، والورع العظيم والعمل العظيم .. فلا ريب أنه يزدري المتأخرين ويهضم حقوقهم، فالأولى تنزيل الناس منازلهم، وتوفيتهم حقوقهم، ومعرفة مقاديرهم، وإقامة معاذيرهم، وقد جعل الله لكل شيء قدراً".

[ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب رحمه الله، ١/ ٢٩٥]

وقال العلامة محمد أمان الجامي رحمه الله:

(وإذا رأى نفسه أعلم من العلماء في أمر من الأمور أو في علم من العلوم فعليه أن يخفي ما عنده، فلا يتظاهر بالعلم، بل يجب عليه أن يستفيد مما عند العلماء فيما هم أعلم فيه منه..) شرح ثلاثة الأصول ومكملاتها ص110

وقال أيضا:(ينبغي لك إذا حضرت عند شيخ لتستفيد منه أن تحترمه وتخاطبه باحترام، ولو كنت ترى أنك أعلم منه في بعض المواد، وهذا واقع، قد يكون طالب مطلعا على بعض المواد لم يطلع عليها شيخه، ولكن، جئت عنده لتستفيد في المادة التي تخصص فيها، في هذه الحالة تستفيد منه باحترام وتقدير وبسؤال مناسب.

أما أن تتعالى وتظهر نفسك أنك أعلم منه، وفي الوقت نفسه تريد أن تستفيد منه، فهذا تناقض لا ينبغي..

ينبغي التأدب مع المدرسين، ولو كنت تدرس اللغة الإنجليزية على مدرس الإنجليزية، تحترمه حتى تستفيد منه..

اضطررت إلى أن أقول هذا القول -ولا أحب أن أقوله- لما بلغني وأنا في المدينة أن بعض الشباب يقف هذا الموقف من بعض المشايخ، وهذا ليس بجيد، أسأل الله لي ولكم التوفيق وحسن الأدب في طلب العلم، العلم ليس بالأمر الهين، تقديرا للعلم وتقديرا للمعرفة تحترم الشخص الذي تستفيد منه) قرة عيون السلفية من ص263 إلى 265

وقال العلامة ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله:

(فملازمة مشايخ السنة علامة على استقامة هذا الإنسان وبعده عن الغرور والإعجاب بالنفس، فتواضع يا أخي، خذ عن العالم القوي والعالم الضعيف، تلازمه، تقرأ عليه البخاري ومسلما، تقرأ عليه كتابا من كتب

التفسير، حتى ولو لم يكن ذلك العالم قويا، لكن بملازمتك له يحصل لك هذا الخير، البخاري كان يأخذ عمن دونه ويستدرك على العالم الكبير وهو في الحادية عشرة من عمره، واستمر في طلب العلم طول حياته، الناس الآن دونه بمراحل، فلا تستكبر ولا ترفع نفسك فوق من ترى من العلماء أنهم لا يروون غليلك من العلم، فلن تجد مثل أحمد ولا مثل ابن تيمية ونحوهما، لن تحصل هذه الأصناف، خذ من الموجودين واستفد منهم ولازمهم تكسب خيرا كثيرا إن شاء الله.)

[لا ترفض رخصة تصدق الله بها عليك، ولا تتبع رخص المذاهب والعلماء..]

قال شيخ الإسلام رحمه الله:(ومثل هذه المسألة الضعيفة ليس لأحد أن يحكيها عن إمام من أئمة المسلمين؛ لا على وجه القدح فيه ولا على وجه المتابعة له فيها، فإن في ذلك ضربا من الطعن في الأئمة واتباع الأقوال الضعيفة، وبمثل ذلك صار وزير التتر يلقي الفتنة بين مذاهب أهل السنة حتى يدعوهم إلى الخروج عن السنة والجماعة ويوقعهم في مذاهب الرافضة وأهل الإلحاد) الفتاوى 32\137

قال الكرجي القصاب رحمه الله معلقا على حديث:(إن الله يحب أن تؤتى رخصه..) كما في نكت القرآن ٢/٥٠٠:

(وأرى كثيرا من الناس يحملون هذا الخبر غير محله، ويتناولونه على غير جهته، فيرون أن الرخص المذكورة عن أهل العلم داخلة في الخبر، وليس كذلك، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أضاف الرخص إلى الله عز وجل فقال: إن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه، ورخصه غير رخص غيره، إذ لا يمكن إضافتها إليه، إلا ما بين منها في كتابه أو شهد بها جماعة الأمة عليه أو أضيف بظاهر خبر الثقات إليه، ورخص العلماء محتاجة إلى حجج تشهد بصحتها، فمن سمى رخص العلماء رخصة فقد افترى على الله الكذب -وإن أمكن أن تكون في نفسها حقا-..) انتهى

قال العلامة الربيع حفظه الله: والذي يتنزه من الأخذ بالرخصة ويرغب عنها يأثم، والذي يتتبع رخص العلماء والمذاهب يأثم، والمنهج الحق: أن يُؤخذ برخص الله على الوجه الذي رخَّص فيه ... [المجموع ٤/٤٦]

[ينبغي ترك الألفاظ الغريبة المتشابهة التي تثير الخلافات التي تضر دعوة أهل السنة]

قال العلامة ربيع المدخلي حفظه الله:(وينبغي لعلماء المنهج السلفي وطلاب العلم أن يسلكوا جادة أهل السنة في كل شأن وفي تسمية الفرق بأسمائهم المشهورة، وأن يجتنبوا الألفاظ الغريبة والمتشابهة التي تثير

الخلافات والقيل والقال، والتي لا تؤدي إلا إلى ما يضر الدعوة السلفية والشماتة بأهلها، وقد نهى السلف عن هذا) انتهى،

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رسالة مذكورة في العقود الدرية ص٣٢٠:

وعليكم بما يجمع قلوب المؤمنين ويؤلف بين قلوبهم، وإياكم والبطر والتفريق بين المؤمنين، فالأصل الذي يُبنى عليه الاعتصام بالسنة والجماعة هو اجتماع قلوب المؤمنين بحيث يُجتنب التفرق بينهم والاختلاف بحسب الإمكان. انتهى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

يستحب استئذان المرأة في نكاح بنتها، واستئذان البكر في نفسها عند من يقول بجواز إجبارها، لأن ذلك أدعى إلى الألفة وصلاح ذات البين وأبعد عن الشقاق، وكل ما فيه صلاح ذات البين فإنه مستحب. انتهى من شرح العمدة ٤/١٦٥

[ولا يغرك كثرة اطلاعك على العلوم، فرب مبلغ أوعى من سامع ورب حامل فقه لا فقه له...]

قال إسحاق العلثي في نصيحته لابن الجوزي التي نقلها ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة:

(ولا يغرك كثرة اطلاعك على العلوم، فرب مبلغ أوعى من سامع، ورب حامل فقه لا فقه له، ورب بحر كدر ونهر صاف، فلست بأعلم من الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال له الإمام عمر رضي الله عنه:(أتصلي على ابن أبي؟) أنزل القرآن "ولا تصل على أحد منهم.."،

ولو كان لا ينكر من قل علمه على من كثر علمه إذا لتعطل الأمر بالمعروف، وصرنا كبني إسرائيل حيث قال تعالى: "كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه"، بل ينكر المفضول على الفاضل، وينكر الفاجر على الولي -على تقدير معرفة الولي-..)

[عبرة من حال المعتزلة..]

قال الملطي رحمه الله في التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع:(أخرج أبو الهذيل إبراهيم النظام وهشاما الفوطي، فعابا عليه وخالفاه في الفرع، لأن الأصل الذي خالفه عليه هشام الفوطي يكون في مائة وعشرين مسألة، فوضع عليه فيها كتابا، وكان آخر أيام أبي الهذيل وكان كف بصره فتقدم إلى بعض تلامذته فنقضها عليه، ثم خالفه إبراهيم النظام أيضا في مائة وعشرين مسألة فوضع فيها نقضا ونقضها عليه أبو الهذيل، وكانت المناظرات بينهم في المجالس لا تنقطع، وأبو الهذيل هذا لم يدرك في أهل الجدل مثله وهو أبوهم وأستاذهم، وكان الخلفاء الثلاثة -المأمون والمعتصم والواثق- يقدمونه ويعظمونه، وكان الوزير ابن

أبي داود من تلامذته، وكان لا يقوم له في الكلام خصم، يصوغ الكلام صياغة، ثم خرج من تحت يد النظام بعد أن صنف كتبا كثيرة: الجاحظ، وصنف كتبا، وكان صاحب تصنيف ولم يكن صاحب جدل، وأخرج هشام: عباد بن سليمان، وكان أحد المتكلمين، فملأ الأرض كتبا وخلافا وخرج عن حد الاعتزال إلى الكفر والزندقة، لحدة نظره وكثرة تفتيشه، ثم لم يقم للمعتزلة إمام مذكور بالبصرة ولا بغداد إلى أن خرج أبو علي محمد بن عبد الوهاب بكور جبى بين البصرة والأهواز، وكان لقي الشحام بالبصرة قبل خروج علي بن محمد الشحام صاحب أبي الهذيل فتعلم منه، فخرج لا شبه له ووضع أربعين ألف ورقة في الكلام ووضع تفسير القرآن في مائة جزء وشيئا لم يسبقه أحد بمثله، وسهل الجدال على الناس، ثم خرج ابنه أبو هاشم فوضع مائة وستين كتابا في الجدل في أيام قلائل، شيء ما وصل إلى مثله أحد قبله، ولا أبوه! وخالف أباه في تسعة وعشرين مسألة، وكان أبوه يخالف أبا الهذيل في تسع عشرة مسألة، وبين معتزلة بغداد ومعتزلة البصرة اختلاف كثير فاحش، يكفر بعضهم بعضا في بعض ذلك الاختلاف، أكثر من ألف مسألة! نعوذ بالله من الريب كله ونسأله السلامة، ومن لزم السواد الأعظم وترك الشك نجا إن شاء الله ولا قوة إلا بالله.

واعلم أن للمعتزلة سوى من ذكرناهم جماعة كثيرة قد وضعوا من الكتب والهوس ما لا يحصى ولا يبلغ جمعه، وهي في كل بلد وقرية، لا تخلو منهم الأرض..

واعلم أن للمعتزلة من الكلام ما لا أستجيز ذكره لأنهم قد خرجوا عن أصول الإسلام إلى فروع الكفر..

وكيف تدبرت قولهم عرفت جهلهم ووسواسهم وهوسهم، لأنهم يختلفون في الأجساد والأرواح من الخلق كلهم إنسهم وجانهم، ولا يدعون ذكر بهيمة ولا طائر ولا شيء خلقه الله عز وجل إلا تكلموا عليه ووضعوا قياسا، ثم عدلوا عن ذلك كله فلم يرضوا به وهم لا يعلمون!..

والذي عندي من ذلك أن تلزم المنهج المستقيم وما نزل به التنزيل وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وما مضى عليه السلف الصالح، فعليك بالسنة والجماعة ترشد إن شاء الله..) اهـ

وقد قال ابن القيم رحمه الله في اجتماع الجيوش الإسلامية:(فإذا جاء إلى زبالة الأفكار ونحاتة الأذهان جال وصال، وأبدى وأعاد، وقعقع وفرقع، فإذا طلع نور الوحي وشمس الرسالة انجحر في أجحرة الحشرات) اهـ

وقال:(قوله تعالى: {قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا (103) الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا} وهذا حال أرباب الأعمال التي كانت لغير الله عز وجل أو على غير سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحال أرباب العلوم والأنظار التي لم يتلقوها عن مشكاة النبوة، ولكن تلقوها عن زبالة أذهان الرجال وكناسة أفكارهم فأتعبوا قواهم وأفكارهم وأذهانهم في تقرير آراء الرجال

أو الانتصار لهم، وفهم ما قالوه وبثه في المجالس والمحاضر، وأعرضوا عما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم صفحا.

ومن به رمق منهم يعيره أدنى التفات طلبا للفضيلة. وأما تجريد اتباعه وتحكيمه، واستفراغ قوى النفمس في طلبه وفهمه، وعرض آراء الرجال عليه، ورد ما يخالفه منها، وقبول ما وافقه ولا يلتفت إلى شيء من آرائهم وأقوالهم إلا إذا أشرقت عليها شمس الوحي وشهد دلها بالصحة فهذا أمر لا تكاد ترى أحدا منهم يحدث به نفسه، فضلا عن أن يكون آخيته ومطلوبه، وهذا الذي لا ينجي سواه، فوارحمتا لعبد شقي في طلب العلم، واستفرغ فيه قواه، واستنفد فيه أوقاته وآثره على ما الناس فيه، والطريق بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم مسدود، وقلبه عن المرسل سبحانه وتعالى وتوحيده والإنابة إليه والتوكل عليه والتنعم بحبه والسرور بقربه مطرود ومصدود. قد طاف عمره كله على أبواب المذاهب، فلم يفز إلا بأخس المطالب!) اهـ

[كلام يبين خطورة القاعدة الفاجرة الخبيثة: (اقرأ لكل أحد وخذ الحق واترك الباطل) للعلامة الربيع]

"{الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين} أهل الأهواء والبدع ليسوا من هؤلاء، عندك الآيات والأحاديث تحذّر، وأنت تقول: لا، أمشي، من أعطاك العصمة؟ إذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام يحذّر الصحابة، والسلف كانوا أئمة مثل الجبال يسدون آذانهم ولا يريدون أن يسمعوا لأهل البدع.

أما أنك تذهب وتزوره وتحضر المحاضرات، يصيبك من شرره ومن دخانه ومن نفثه.

نحن جربنا كثيراً، جربنا الكثير؛ أكثر من ثلاثين سنة نحن مجربون، هؤلاء المغرورون ضاعوا وتاهوا، نهايتهم محتومة؛ يضيعون نسأل الله العافية؛ مهما بلغ من الذكاء فإنّ الله يعاقبه، نقول له: ذكاؤك لا ينفعك!

لا بد أن تبذل الأسباب في حماية هذا الدين الذي أعطاك الله وتحافظ عليه، هذه نعمة لا تلعب فيها.

الآن من ترون من الحزبيين في هذه البلاد كلهم أصلهم سلفيون، في هذه البلاد؛ كلهم ضاعوا بسبب المخالطة والمعاشرة والقراءة والسماع لأهل الأهواء، كل من ترونه الآن ويقال عنهم فلان حزبي وفلان حزبي ... كلهم ما ضاعوا إلا بهذه الوسيلة، يأخذون بهذه النظرية: (آخذ الحق وأترك الباطل) فيأخذ الباطل ويترك الحق ويصبح عدوا للحق حربا على أهله!".

[مجموعه ١٤/٣٥٠]

قال العلامة عبدالرحمن بن صالح محيي الدين حفظه الله:(المتجريء على الشبهات ويتتبعها تقوده إلى الهلاك، هلاك الدنيا وهلاك الآخرة) شرح الأصول الستة ص٤٩

ما الجمع بين نهي عمر عن النظر في كتب الكتابيين وبين: (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)؟
أقوى الوجوه هو ما ذكره في تحفة الأحوذي عند حديث (٢٦٦٩) أن الرخصة إنما هي فيما لا عمل تحته من المواعظ والقصص العجيبة، والنهي هو عن النظر فيما سوى ذلك مما يبنى عليه اعتقاد أو عمل، ويدل لهذا قوله صلى الله عليه وسلم: (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج فإنه كانت فيهم الأعاجيب ...) الصحيحة ٢٩٢٦، وفي هذا ما يشهد لصنيع المحدثين أن الخبر الضعيف يجوز سوقه للاتعاظ.
يليه في القوة: أن النهي هو عن النظر، والرخصة إنما هي في التحديث، فلا تقرأ في كتبهم، ولكن ما جاءك منها بلا طلب منك فلك روايته من غير تصديق ولا تكذيب، والدليل على هذين الأمرين حديث: (ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم)، (ما حدثكم) لا (ما قرأتم).
وعلى هذا فيكون صنيع ابن عمر رضي الله عنهما في قراءته التوراة خطأ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عمر رضي الله عن ذلك، فلعله لم يبلغه النهي، وأما حديث عبد الله بن عمرو أنه قال:(رأيت فيما يرى النائم لكأن في إحدى إصبعي سمنا، وفي الأخرى عسلا، فأنا ألعقهما، فلما أصبحت ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: تقرأ الكتابين: التوراة والفرقان، فكان يقرؤهما) فهو يشعر أن قراءته للتوراة لم تكن مذمومة، ولكن الحديث ضعيف لأنه من رواية ابن لهيعة -وإن كان الراوي عنه قتيبة- ولو صح فلا بد من حمله على أنه قرأ التوراة محتاجا لذلك لمصلحة شرعية جمعا بينه وبين النهي عن النظر في كتب أهل الكتاب.

[توجيهات رائقة من العلامة ربيع المدخلي حفظه الله بعد وفاة الأئمة ابن باز والألباني والعثيمين، وانظر رسالة للأثرم أحمد بن محمد بن هانيء، في ترجمته من طبقات الحنابلة، كتبها عند وفاة الإمام أحمد]

السؤال: فضيلة الشيخ ما نصيحتكم إلى الشباب وطلبة العلم بعد وفاة الشيخ ابن باز والألباني والعثيمين رحمهم الله وبعد انتشار الدعوات الفاسدة وأدعياء العلم؟
الجواب: يا اخوتاه، لما مات رسول الله عليه الصلاة والسلام اهتز الصحابة اهتزازاً شديداً ومنهم عمر رضي الله عنه؛ لأنه مات أعظم الرسل عليهم الصلاة والسلام، كيف لا يضطربون وكيف لا يهتزون؟!
فجاء أبو بكر رضي الله عنه بكل أناة وبكل هدوء وهم في حالة اضطراب، ومشى إلى الرسول عليه الصلاة والسلام وكشف عن وجهه وقبَّله، وقال:(بأبي أنت وأمي، طبت حيا وميتا، أما بعد: فمن كان منكم يعبد محمداً صلى الله عليه وسلم فإن محمدا صلى الله عليه وسلم قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا

يموت) وتلا قول الله تبارك وتعالى: {وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم}.

فأفاق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وخرجوا للشوارع يقرؤونها كأنهم لأول مرة يسمعونها، فمات ابن باز ومات الألباني ومات ابن عثيمين، ومات قبلهم الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام، ودين الله محفوظ، ما علينا إلا أن نشمر عن ساعد الجد لتحصيل العلم، فيغرس الله في هذه الأمة ويستخرج منها من يلحق بمنازل شيوخنا، فلا نيأس من روح الله، علينا أن نشمر عن ساعد الجد، ولا يفت في عضدنا هذا، فإن الله سبحانه وتعالى قدر آجال البشر، وهم قد أدوا واجبهم ونفع الله بهم الأمة، والآن دور من يخلفهم، عليهم أن يتعلموا، فالذي علم محمدا صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر والصحابة رضي الله عنهم والتابعين وأئمة الهدى، وعلم ابن باز والألباني وابن عثيمين لا يزال حيا باقيا حافظا لدينه تبارك وتعالى؛ فاطلبوا العلم واطلبوا منه الهداية والتوفيق، وسيهيئ الله من يخلف هؤلاء.

والحمد لله بقي من العلماء من يقوم بواجبهم، هيئة كبار العلماء الموجودون في الرياض وغيرها، وفي المدينة النبوية في الجامعة الإسلامية نبلاء أفاضل مثل الشيخ العباد وغيره من الأفاضل، بارك الله فيكم.

فهناك من يشمت بأهل السنة ومنهم من قال: إلى الجحيم يا ابن عثيمين خالداً مخلداً فيها!! فماذا يُقال في هذه النوعيات؟! فوالله إن شاء الله يخلف ابن عثيمين عشرات ومئات وآلاف في هذه الأمة إن شاء الله، وإن شاء الله إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، وهذا نرجوه من الله.

وما نقطع لأحد بالجنة ولا نقطع لأحد بالنار كما جزم هذا المجرم، يعني (إلى الجحيم)! و(خالداً مخلداً فيها)!

فنسأل الله العافية، هذه من الكتب الفكرية يا إخوان، من ثمار الكتب الفكرية الطعن في العلماء واحتقارهم واحتقار العلم الذي عندهم بفقه الواقع، يدّعون أن الفكريين فقهاء واقع وعظموهم هذا التعظيم لأنهم فقهاء واقع، والعلماء علماء حيض ونفاس وجواسيس وعملاء... إلخ، فلهذا يسهل على هذا الذي نشأ في هذه البيئات السيئة أن يقول مثل هذا الكلام.

فعليكم بطلب العلم، والإخلاص فيه لله، واحترام علماء السُنة والاستفادة من علومهم، وإدارة الظهور عن كتب أهل البدع، و منها الكتب الفكرية المشحونة بالبدع والضلالات والأفكار المنحرفة، بارك الله فيكم، وكثيرٌ من الناس يخدع الشباب ويقول: اقرأ، اقرأ وخذ الحق واترك الباطل، و يكون الشباب مساكين ما عندهم شيء، ما عندهم تمييز بين الحق والباطل، فيقع في الباطل و يظنُّه حقاً، و يُحارب الحق و يظنُّه باطلاً، وهذا حصل لكثيرٍ من الناس، من هذه المَصْيَدة، فالسلف ما كانوا يقرؤون لأهل البدع، و أُلِّفتْ كتب في التحذير من كتب أهل البدع، ومنها كتاب الموفَّق ابن قدامة في تحريم النظر في كتب أهل البدع، ولهم

تحذيراتٌ، أحمد بن حنبل والذهبي و ابن تيمية و ابن القيم كلهم حذَّروا من كتب أهل البدع تحذيراً شديدا، حذَّروا منها و بعضُهم يرى إحراقها، ومنهم ابن القيم ومنهم أحمد بن حنبل، و إتلافها لأنَّ فيها دمار للأمة، فيها إفساد، فلما انتشرت كتب البدع في أوساط المسلمين تساهل كثير من المسلمين ووقعوا في حبائل البدع، صار هذا معتزليا وهذا جهميا و هذا أشعريا وهذا صوفيا وهذا... وما بقي إلاّ قلَّة ممن يسلك مسلك السلف الصالح في هذا الخضم الهائل من أهل البدع والعياذ بالله، ما السبب؟ السبب مثل هذه النظرية "أقرأ وآخذ الحق وأردُّ الباطل" فيأتي يأخذ الباطل ويرد الحق.

ابن عقيل جبل من جبال العلم و الذكاء، بدأ يأخذ عن أهل البدع ، عن المعتزلة، بعض شيوخ المعتزلة، حذَّروه، تجاهل هذه التحذيرات، و ركب رأسه وذهب يأخذ عنهم فوقع في حمأة البدع والضلالات، ونشر هذا في كُتُبه، فجاءه تهديد من بعض الحنابلة بقتله، ثم طبعاً نصحه بعض الناس وهددوه فتاب وأناب وكتب توبته،

الشاهد: أنه عنده علم غزير وعقل كبير ومع ذلك وقع في حبائل أهل البدع، لأنَّ العالِم قد يُخدع بأهل البدع فيقع في الضلال، يقع في الضلال بارك الله فيكم، وكثير منهم -ولا أريد أن أُسمي- انخدع في أهل البدع و ما يُظهرونه من الصلاح والزهد فوقع في هوَّة البدع والضلال، وقد كان السلف أمثال ابن سيرين -إمام من أئمة السُّنة- وأيوب السختياني، يُعرَض عليهم من أهل البدع أن يقرأوا عليه آية من القرآن يقول: ولا نصف آية!، لماذا؟ يفهم أن هذا يريد أن يُلبِّس عليه، ويتلو الآية عليه ليستخرج منها شبهه، فيقول: لا أسمع، لماذا تفعل هذا؟ فيقول:(إنَّ قلبي ليس بيدي، وأخاف على نفسي الفتنة)، إذا كان أئمة يا أخي خافوا على أنفسهم الفتنة أنت كيف تأمن؟ الصحابة كانوا يخافون على أنفسهم، يخافون على أنفسهم من النفاق، أنت كيف تأمن على نفسك النفاق؟ كيف تأمن إذا نصحوك من الوقوع في البدع؟ وتتعاطى الأسباب الموقعة في البدع ثم تنتظر السلامة؟! الكتاب مثل الجليس، مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يُحرق ثيابك وإما أن تجد ريحاً خبيثة، فلا بد من ضرر يلحق من يقرأ في كتب أهل البدع ويجالسهم.

قال الشاعر:

و خير مكان في الدنى سرج سابح

و خير جليس في الزمان كتاب

و أنا أقول: قد يكون شر جليس في الزمان كتاب، قد يكون كنافخ الكير -هذا الكتاب- بل أشد، و كذلك الجليس السوء من الناس مثل نافخ الكير لابد أن تتضرر من مجالسته ومَن أشر مِن أهل البدع؟ الرسول

صلى الله عليه وسلم كان يقول:(أما بعد فإنَّ خير الحديث كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشرَّ الأمور محدثاتها) فهذا الوعاء المبتدع وعاء الشر، وعاء البدع احذر منه، يُحرقك ولو لان ملمسُه! ولو خدعك بالزهد والورع فلا تأمنه، فإنَّه يسقيك في المرة الأولى والثانية والثالثة عسلاً، ثم بعد ذلك يُجرِّعك السموم جرعةً جرعة، عندهم مكر وعندهم دهاء وعندهم حيل وعندهم شبه يقذفونها، الضعيف المسكين لا يستطيع الخلاص منها بل يقع ضحية لها.

[كلام مهم لابن رجب عن النهي عن كثرة السؤال]

قال ابن رجب رحمه الله في جامع العلوم والحكم ١\243 وما بعدها:

(بعض الناس يزعم أن ذلك كان مختصا بزمن النبي صلى الله عليه وسلم لما يخشى حينئذ من تحريم ما لم يحرم، أو إيجاب ما يشق القيام به، وهذا قد أمن بعد وفاته صلى الله عليه وسلم. ولكن ليس هذا وحده هو سبب كراهة المسائل، بل له سبب آخر، وهو الذي أشار إليه ابن عباس في كلامه الذي ذكرنا بقوله: ولكن انتظروا، فإذا نزل القرآن، فإنكم لا تسألون عن شيء إلا وجدتم تبيانه. ومعنى هذا: أن جميع ما يحتاج إليه المسلمون في دينهم لابد أن يبينه الله في كتابه العزيز، ويبلغ ذلك رسوله عنه، فلا حاجة بعد هذا لأحد في السؤال، فإن الله تعالى أعلم بمصالح عباده منهم، فما كان فيه هدايتهم ونفعهم، فإن الله تعالى لابد أن يبينه لهم ابتداء من غير سؤال، كما قال: {يبين الله لكم أن تضلوا} [النساء: 176]. وحينئذ، فلا حاجة إلى السؤال عن شيء، ولا سيما قبل وقوعه والحاجة إليه، وإنما الحاجة المهمة إلى فهم ما أخبر الله به ورسوله، ثم اتباع ذلك والعمل به، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسأل عن المسائل؛ فيحيل على القرآن، كما «سأله عمر عن الكلالة، " فقال يكفيك آية الصيف» . وأشار صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث إلى أن في الاشتغال بامتثال أمره، واجتناب نهيه شغلا عن المسائل، «فقال: إذا نهيتكم عن شيء، فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر، فأتوا منه ما استطعتم» ، فالذي يتعين على المسلم الاعتناء به والاهتمام أن يبحث عما جاء عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ثم يجتهد في فهم ذلك، والوقوف على معانيه، ثم يشتغل بالتصديق بذلك إن كان من الأمور العلمية، وإن كان من الأمور العملية، بذل وسعه في الاجتهاد في فعل ما يستطيعه من الأوامر، واجتناب ما ينهى عنه، وتكون همته مصروفة بالكلية إلى ذلك؛ لا إلى غيره. وهكذا كان حال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم بإحسان في طلب العلم النافع من الكتاب والسنة. فأما إن كانت همة السامع مصروفة عند سماع الأمر والنهي إلى فرض أمور قد تقع، وقد لا تقع، فإن هذا مما يدخل في النهي، ويثبط عن الجد في متابعة الأمر. وقد «سأل رجل ابن عمر عن

استلام الحجر، فقال له: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله» ، فقال له الرجل: أرأيت إن غلبت عليه؟ أرأيت إن زوحمت؟ فقال له ابن عمر: اجعل " أرأيت " باليمن، رأيت رسول الله يستلمه ويقبله خرجه الترمذي ومراد ابن عمر أن لا يكون لك هم إلا في الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، ولا حاجة إلا فرض العجز عن ذلك أو تعسره قبل وقوعه؛ فإنه قد يفتر العزم على التصميم عن المتابعة، فإن التفقه في الدين، والسؤال عن العلم إنما يحمد إذا كان للعمل، لا للمراء والجدال.....

وكان أبو شريح الإسكندراني يوما في مجلسه، فكثرت المسائل، فقال: قد درنت قلوبكم منذ اليوم، فقوموا إلى أبي حميد خالد بن حميد اصقلوا قلوبكم، وتعلموا هذه الرغائب، فإنها تجدد العبادة، وتورث الزهادة، وتجر الصداقة، وأقلوا المسائل إلا ما نزل، فإنها تقسي القلوب، وتورث العداوة. وقال الميموني: سمعت أبا عبد الله - يعني أحمد - يسأل، عن مسألة، فقال: وقعت هذه المسألة؟ بليتم بها بعد؟ وقد انقسم الناس في هذا الباب أقساما: فمن أتباع أهل الحديث من سد باب المسائل حتى قل فقهه وعلمه بحدود ما أنزل الله على رسوله، وصار حامل فقه غير فقيه. ومن فقهاء أهل الرأي من توسع في توليد المسائل قبل وقوعها، ما يقع في العادة منها وما لا يقع، واشتغلوا بتكلف الجواب عن ذلك، وكثرة الخصومات فيه، والجدال عليه حتى يتولد من ذلك افتراق القلوب، ويستقر فيها بسببه الأهواء والشحناء والعداوة والبغضاء، ويقترن ذلك كثيرا بنية المغالبة، وطلب العلو والمباهاة، وصرف وجوه الناس وهذا مما ذمه العلماء الربانيون، ودلت السنة على قبحه وتحريمه. وأما فقهاء أهل الحديث العاملون به، فإن معظم همهم البحث عن معاني كتاب الله عز وجل، وما يفسره من السنن الصحيحة، وكلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وعن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعرفة صحيحها وسقيمها، ثم التفقه فيها وتفهمها، والوقوف على معانيها، ثم معرفة كلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان في أنواع العلوم من التفسير والحديث، ومسائل الحلال والحرام، وأصول السنة والزهد والرقائق وغير ذلك، وهذا هو طريقة الإمام أحمد ومن وافقه من علماء الحديث الربانيين، وفي معرفة هذا شغل شاغل عن التشاغل بما أحدث من الرأي ما لا ينتفع به، ولا يقع، وإنما يورث التجادل فيه كثرة الخصومات والجدال وكثرة القيل والقال. وكان الإمام أحمد كثيرا إذا سئل عن شيء من المسائل المتولدات التي لا تقع يقول: دعونا من هذه المسائل المحدثة. وما أحسن ما قاله يونس بن سليمان السقطي: نظرت في الأمر، فإذا هو الحديث والرأي، فوجدت في الحديث ذكر الرب عز وجل وربوبيته وإجلاله وعظمته، وذكر العرش وصفة الجنة والنار، وذكر النبيين والمرسلين، والحلال والحرام، والحث على صلة الأرحام، وجماع الخير فيه، ونظرت في الرأي، فإذا فيه المكر، والغدر، والحيل، وقطيعة الأرحام، وجماع الشر فيه. وقال أحمد بن شبويه: من أراد علم القبر فعليه بالآثار، ومن أراد علم الخبز فعليه بالرأي. ومن سلك طريقة طلب العلم على ما ذكرناه، تمكن من فهم جواب الحوادث

الواقعة غالبا، لأن أصولها توجد في تلك الأصول المشار إليها، ولابد أن يكون سلوك هذا الطريق خلف أئمة أهله المجمع على هدايتهم ودرايتهم كالشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد ومن سلك مسلكهم، فإن من ادعى سلوك هذا الطريق على غير طريقهم، وقع في مفاوز ومهالك، وأخذ بما لا يجوز الأخذ به، وترك ما يجب العمل به. وملاك الأمر كله أن يقصد بذلك وجه الله، والتقرب إليه بمعرفة ما أنزل على رسوله، وسلوك طريقه، والعمل بذلك، ودعاء الخلق إليه، ومن كان كذلك وفقه الله وسدده، وألهمه رشده، وعلمه ما لم يكن يعلم، وكان من العلماء الممدوحين في الكتاب في قوله تعالى: {إنما يخشى الله من عباده العلماء} [فاطر: 28] (فاطر: 28) ، ومن الراسخين في العلم، وقد خرج ابن أبي حاتم في " تفسيره " من حديث أبي الدرداء أن «رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الراسخين في العلم، فقال: من برت يمينه، وصدق لسانه، واستقام قلبه، ومن عف بطنه وفرجه، فذلك من الراسخين في العلم» . وقال نافع بن يزيد: يقال: الراسخون في العلم: المتواضعون لله، والمتذللون لله في مرضاته لا يتعاطون من فوقهم، ولا يحقرون من دونهم. ويشهد لهذا قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أتاكم أهل اليمن هم، أبر قلوبا، وأرق أفئدة، الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية» . وهذا إشارة منه إلى أبي موسى الأشعري، ومن كان على طريقه من علماء أهل اليمن، ثم إلى مثل أبي مسلم الخولاني وأويس القرني، وطاوس، ووهب بن منبه، وغيرهم من علماء أهل اليمن، وكل هؤلاء من العلماء الربانيين الخائفين لله، فكلهم علماء بالله يخشونه ويخافونه، وبعضهم أوسع علما بأحكام الله وشرائع دينه من بعض، ولم يكن تميزهم عن الناس بكثرة قيل وقال، ولا بحث ولا جدال. وكذلك معاذ بن جبل رضي الله عنه أعلم الناس بالحلال والحرام، وهو الذي يحشر يوم القيامة أمام العلماء برتوة، ولم يكن علمه بتوسعة المسائل وتكثيرها، بل قد سبق عنه كراهة الكلام فيما لا يقع، وإنما كان عالما بالله وعالما بأصول دينه وقد قيل للإمام أحمد: من نسأل بعدك؟ قال عبد الوهاب الوراق، قيل له: إنه ليس له اتساع في العلم، قال: إنه رجل صالح مثله يوفق لإصابة الحق. وسئل عن معروف الكرخي، فقال: كان معه أصل العلم: خشية الله. وهذا يرجع إلى قول بعض السلف: كفى بخشية الله علما، وكفى بالاغترار بالله جهلا. وهذا باب واسع يطول استقصاؤه. ولنرجع إلى شرح حديث أبي هريرة رضي الله عنه فنقول: من لم يشتغل بكثرة المسائل التي لا توجد مثلها في كتاب، ولا سنة، بل اشتغل بفهم كلام الله ورسوله، وقصده بذلك امتثال الأوامر، واجتناب النواهي، فهو ممن امتثل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث، وعمل بمقتضاه، ومن لم يكن اهتمامه بفهم ما أنزل الله على رسوله، واشتغل بكثرة توليد المسائل قد تقع وقد لا تقع، وتكلف أجوبتها بمجرد الرأي، خشي عليه أن يكون مخالفا لهذا الحديث، مرتكبا لنهيه، تاركا لأمره.

واعلم أن كثرة وقوع الحوادث التي لا أصل لها في الكتاب والسنة وإنما هو من ترك الاشتغال بامتثال أوامر الله ورسوله، واجتناب نواهي الله ورسوله، فلو أن من أراد أن يعمل عملا سأل عما شرع الله في ذلك العمل فامتثله، وعما نهى عنه فيه فاجتنبه، وقعت الحوادث مقيدة بالكتاب والسنة وإنما يعمل العامل بمقتضى رأيه وهواه، فتقع الحوادث عامتها مخالفة لما شرعه الله وربما عسر ردها إلى الأحكام المذكورة في الكتاب والسنة لبعدها عنها. وفي الجملة فمن امتثل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث، وانتهى عما نهى عنه، وكان مشتغلا بذلك عن غيره، حصل له النجاة في الدنيا والآخرة، ومن خالف ذلك، واشتغل بخواطره وما يستحسنه، وقع فيما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم من حال أهل الكتاب الذين هلكوا بكثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم، وعدم انقيادهم وطاعتهم لرسلهم.) انتهى.

ويؤكد كلامه عن فقه اليمانيين ما جاء عن قرة بن إياس رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فذكر عنده الحياء فقالوا: يا رسول الله الحياء من الدين؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل هو الدين كله، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الحياء والعفاف والعي -عي اللسان لا عي القلب- والعفة من الإيمان، وإنهن يزدن في الآخرة وينقصن من الدنيا، وما يزدن في الآخرة أكثر مما ينقصن من الدنيا، وإن الشح والعجز والبذاء من النفاق، وإنهن يزدن في الدنيا وينقصن من الآخرة، وما ينقصن من الآخرة أكثر مما يزدن من الدنيا. قال المنذري: رواه الطبراني باختصار وأبو الشيخ في الثواب واللفظ له. وصححه الألباني لغيره في صحيح الترغيب.

[خواطر في العلم..]

لا يزهد في العلماء الكبار بحجة أنهم كبروا ونسوا إلا جاهل بأقدار العلماء وجاهل بحال السلف معهم وجاهل بسنة الله في الكون، وإلا فكون الكبير في السن تضعف ذاكرته هذا أمر طبعي لا مناص للإنسان منه -ومع ذلك فقد حفظ الله للعلماء عقولهم- ولعلم السلف بذلك لم يكونوا يزهدون في كبار السن، بل كانوا أكثر إقبالاً عليهم لأخذ العلم من إقبالهم على غيرهم، فالعلو سنة عند السلف، وفي قصة أبي اليَسَر رضي الله عنه في آخر صحيح مسلم عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: **(خرجت أنا وأبي نطلب العلم في هذا الحي من الأنصار قبل أن يهلكوا)**، وقال زيد بن أرقم رضي الله عنه: **(لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله صلى الله عليه وسلم)** [رواه مسلم]، ومع هذا لم يزهدهم فيه، حاشاهم.

هذا هو الأصل، وأحيانا يقال كما قال علي بن المديني كما في طبقات الحنابلة: لأن أسأل أحمد بن حنبل عن مسألة فيفتيني أحب إلي من أن أسال أبا عاصم النبيل وابن داود، إن العلم ليس بالسن، إن العلم ليس بالسن.

وبعض الناس يزهد في العالم إذا لقيه وجلس معه فرآه رجلا كسائر الناس، ولا عجب، فقد قيل لابن مسعود رضي الله عنه:(يا أعرابي، إن هذا ليس بيوم تلبية..) ومعلوم كيف كانت صفة أبي ذر رضي الله عنه، وعن طارق بن شهاب أنه بات عند سلمان الفارسي رضي الله عنه لينظر ما اجتهاده، فقام يصلي من آخر الليل، فكأنه لم ير الذي كان يظن! صححه الألباني لغيره في الترغيب والترهيب ١/١٩٠ و٢٨٧، وقد يكون مثله حديث الثلاثة الذين تقالوا عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قال هشام بن حسان:(كان أبو مجلز قصيرا قليلا، فإذا تكلم كان من الرجال)، وقد قال ابن المبارك:(ما وُصف لي أحد ورأيته إلا كانت رؤيته دون صفته، إلا حيوة بن شريح، فإن رؤيته كانت أكبر من صفته)، وقال ابن عمار:(كنت إذا نظرت إلى يحيى بن سعيد -القطان- ظننت أنه رجل لا يحسن شيئا، فإذا تكلم أنصت له الفقهاء) وقال أحمد:(كان مروان الفزاري من الحفاظ، حافظًا كأنها نصب عينيه، كان حافظًا حافظًا، وإذا رأيته تقول: هو أبله!) ومعلومة قصة الحريري حين أملى:(ما أنت أول سار غره قمر..) فلا ينبغي الحكم على العالم بمجرد الانطباع الذي يتولد في النفس بمجرد رؤيته، ومن باب أولى ألا يُزهد فيه بسبب ذلك، وأيضا فقد كان العلماء من قديم يتسمحون في مجلس المذاكرة، فلا ينبغي الزهد فيهم إن رأى منهم شيئا في مجلس مذاكرة وظنه ضعفا علميا أو قصورا في الفهم أو قلة فطنة أو غير ذلك، فمجلس المذاكرة كان العلماء يتسمحون فيه، فقد كتب الكوسج عن أحمد مسائل، فلما علم أحمد أنه كتبها عنه اضطرب، وقد قال ابن رجب في القواعد: (ونقل عنه -عن أحمد- البرتي في طعام في الذمة، هل يشتري به شيئا ممن عليه؟ فتوقف، قال: فقلت له: لم لا يكون هذا مثل اقتضاء الورق من الذهب؟ فكأنه أجازه من غير أن يوضحه إيضاحا بينا) انتهى، فقد تكون المسألة واضحة للعالم وفي نفس الوقت لا يستطيع إيضاحها للطالب، وقد قال ابن قدامة في عمدة الفقه عن المرأة المحرمة:(ولها لبس المخيط) اهـ ولم يستثن القفازين، قال شيخ الإسلام:(وكلام الشيخ هنا يقتضي جواز لبسهما، لأنه لم يذكره وأباح لبس المخيط مطلقا، وهذا تساهل في اللفظ لا يؤخذ منه مذهب) اهـ فقد يقع تساهل في اللفظ، فلا يصح الوقوف عنده ولا التشنيع به على العالم، وهذا قد وقع في متن فقهي، فكيف بمجالس المذاكرة؟! وإذا اتضح المقصود فلا يجوز الوقوف عند العبارة، قال شيخ الإسلام في الدرء:(والاستفسار مع ظهور المقصود نوع من اللدد في الكلام، وأبغض الرجال إلى الله الألد الخصم.) اهـ

وقد يكون العالم ناقلا لإجماعٍ في مسألة، وحين تراجع تجد فيها خلافا، فلا يزهدك هذا فيه، فقد قال شيخ الإسلام في نقد مراتب الإجماع:(دعوى الإجماع في مثل هذا الأمر العام الذي يتناول أنواعا كثيرة ليس مستنده نقلا في هذا عن أهل الإجماع، ولكن هو بحسب ما يعتقده الناقل في أن مثل هذا ظلم محرم لا يبيحه عالم، وفي بعض ما يدخل في هذا نزاع وتفصيل..) اهـ وقال ابن رجب في الفوائد التي ألحقها بقواعده:(إلا أنه ضعيف مخالف للنص والإجماع فيما أظن) اهـ فتبين أن العالم قد ينقل الإجماع بظنه، وقال ابن رجب:(ذكره القاضي وأبو الخطاب في انتصاره في غالب ظني) اهـ فتبين أن العالم قد يعزو نقلا إلى عالم بظنه، فتطرق الخطأ وارد في هذا أيضا، وقد نقل عبدالرحمن بن أبي ليلى -وهو من هو- عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه لم يكن يقول بأن الحامل المتوفى عنها زوجها تخرج من العدة بوضع الحامل، فلما تثبت ابن سيرين تبين أن ابن مسعود رضي الله عنه كان يقول بذلك، قال ابن حجر:(والمشهور عن بن مسعود أنه كان يقول خلاف ما نقله بن أبي ليلى فلعله كان يقول ذلك ثم رجع أو وهم الناقل) اهـ فربما وهم ابن أبي ليلى نفسه أو أنه اعتمد في نقل قول ابن مسعود على من وهم.

وقد تشتبه على العالم مسألتان بينهما قرب، فمثلا: من أفسد حجه بالجماع فيجب عليه أن يقضي حجه، وهذا إجماع، إلا أن أبا الخطاب -وهو من هو في معرفة المذهب- قد نقل عن أحمد رواية بعدم وجوب القضاء لمن أفسد الحج أو فاته وقت الحج، قال شيخ الإسلام رحمه الله:(وأصحابنا يعدون هذا غلطا، وإنما الروايتان في الفوات خاصة وفي الإحصار أيضا) انتهى من شرح العمدة ٤/٦٦٣

وقد يقع للعالم تقرير لمسألة شرعية يبنيها على شيء دنيوي، فإن وقفت على خطئه في ظنه المتعلق بالأمر الدنيوي فلا تزهد فيه، فهو ليس مختصا في الأمور الدنيوية، فلذا لا يعاب إن جهل شيئا فيها، مثال ذلك أن أحمد قال في موضع أن التمتع ينقطع برجوع المرء إلى الميقات، وقال في موضع آخر أن التمتع ينقطع بسفره مسافة قصر، قال ابن تيمية:(واعلم أن هذا الاختلاف لا يرجع إلى اختلاف في الحكم، وذلك لأن المواقيت كلها بينها وبين مكة مسافة القصر..

لكن من اعتقد في المسألة روايتين توهَّم أنه يخرج إلى الميقات من لا يبلغ مسافة القصر ليجعل المسألة على روايتين، أو تناول كلام أحمد في بعض المواضع، أو يقول: إنه لا يسقط عنه المتعة بالخروج إلى ميقاته، أو يعتقد أن كلا منهما شرط على انفراده، فقد غلط غلطا مستنده عدم العلم بالمسافة، وهذا واقع في كلام طائفة من أصحابنا..) اهـ وقد يستدل لعدم الشناعة على العالم إن خفي عليه شيء من ذلك بحديث:(أنتم أعلم بأمور دنياكم) ولا بد من التنبيه على أن الظن بالعلماء أنهم لا يفتون بغير تصور، بل يجتهدون في تصور المسألة قبل القول فيها، لكن -كعادة البشر- قد لا يكون اجتهادهم موصلا لهم إلى التصور الصحيح لبعض الجزئيات، فعندها يقع مثل هذا الخطأ.

ويقبح أيضا أن يزهد المرء في عالم بسبب تواضعه أو هضمه لنفسه، وأقبح منه أن يُتجرأ على العالم ويُؤذى بسبب تواضعه ولين جانبه، فقد كان يحيى بن أكثم رحمه الله يُرمى باللواط! والسبب في هذه الجرأة عليه أنه كان متواضعا ذا دعابة، قال إسماعيل ابن إسحاق: كان يحيى بن أكثم أبرأ إلى الله من أن يكون فيه شيء مما رمي به من أمر الغلمان، ولقد كنت أقف على سرائره فأجده شديد الخوف لله، ولكنه كان فيه دعابة وحسن خلق، فرمي بما رمي به! من ترجمة يحيى بن أكثم من تهذيب الكمال.

وقد قيل أن المعاصرة حرمان، وقيل:

حتَّى العَبَاقرة ُ الأفذاذُ حيُّهُمُ

يلقى الشقاءَ وتَلْقَى مجدَها الرِّمَمُ!

النَّاسُ لا يُنْصِفُونَ الحيّ بينهمُ

حتّى إذا ما توارى عنهمُ نَدِموا!

الويْل للنَّاسِ من أَهْوائهمْ أبداً

يمشي الزَّمانُ وريحُ الشَّرِّ تحتدمُ..

وقيل: المرء ما دام حيا يستهان به

ويعظم الرزء فيه حين يفتقد..

حتى لو أنفق المرء وقتاً كبيراً في القراءة في سير العلماء وفضائلهم -سواءً كانت الفضائل هي فضائل العلماء عموماً أو فضائل عالم معين أو علماء معينين- فلن يعرف قدرهم حقاً إلا بأمرين:

١: أن يقرأ في فضائلهم ويكون لديه من العلم ما يعرف به المثلبة من المنقبة، وإلا فكثير من الناس يُجالس العلماء ولا يرى فضلهم لأنه جاهل بأسباب الفضل والثلب، ومن الأمثلة الشهيرة: ذم العالم بأنه شديدٌ على المبتدعة! فهذه منقبة يجهل أكثر الناس أنها منقبة،

وقد كان السلف يطلبون معرفة أخلاق العلماء وأخبارهم كما يطلبون معرفة الحديث، قال أحمد بن المصفى كما في ترجمته من طبقات الحنابلة: رحل أحمد بن حنبل إلى الشام لزيارة محمد بن يوسف الفريابي، فنزل عندنا بحمص فأقام أياما يُقرأ عليه، ثم ورد الخبر بموت الفريابي، فضاق صدره وحزن لذلك، فقلت له: يا أبا عبد الله قد كتبت عن الأئمة الكبار، عن سفيان، فما هذا الحزن؟ فقال: الحديث كثير، إلا أني أردت أن أستخبره عن أخلاق الرجل -يعني سفيان-، فإنه كان أنيسا به، وقد بلغني أنه كان يقترض منه وقت الحاجة ويقول له: يا محمد ما أقترض منك إلا لأنك ما تقتضيني، فإذا قضيتك اقترضت منك. انتهى.

وقال ابن الصلاح في مقدمة طبقات الفقهاء الشافعية:(فإن معرفة الإنسان بأحوال العلماء رفعة وزين، وإن جهل طلبة العلم وأهله بهم لوصمة وشين، ولقد علمت الأيقاظ أن العلم بذلك جم المصالح والمراشد، وأن الجهل به إحدى جوالب المناقص والمفاسد، من حيث كونهم حفظة الدين الذي هو أس السعادة الباقية، ونقلة العلم الذي هو المرقاة إلى المراتب العالية، فكمال أحدهم يكسب مؤداه من العلم كمالا، واختلالها يورث خللا وخبالا، وفي المعرفة لهم معرفة من هو أحق بالاقتداء، وأحرى بالاقتفاء، والجاهل بهم من مقتبسة العلم مسو لإمحاله عند اختلافهم بين الغث والسمين، غير مميز بين الرث والوزين.

وقد روينا عن مسلم بن الحجاج صاحب " الصحيح " رضي الله عنه أنه قال: "إن أول ما يجب على مبتغي العلم وطالبه أن يعرف مراتب العلماء في العلم، ورجحان بعضهم على بعض"، ولأن المعرفة بالخواص آصرة ونسب، وهي يوم القيامة وصلة إلى شفاعتهم وسبب، ولأن العالم بالنسبة إلى مقتبس علمه بمنزلة الوالد بل أفضل، فإذا كان جاهلا به فهو كالجاهل بوالده بل أضل، ولعمري إن من يسأل من الفقهاء عن المزني والغزالي مثلا، فلا يهتدي إلى بعد ما بينهما من الزمان والمنزلة؛ لمنسوب من القصور إلى ما يسؤوه، ومن النقص إلى ما يهيضه.) انتهى.

٢: -وهو المقصود- مجالسة العلماء وسؤالهم والدراسة عليهم مجالسةً تمتد إلى مدة من الزمن تكفي لملاحظة فضلهم، إذ في الحديث: «**ليس الخبر كالمعاينة**»، وفي الحديث: «**الشاهد يرى ما لا يرى الغائب**»،

فرقٌ بين تغير اجتهاد العالم «**إذا اجتهد فأخطأ فله أجر، فإن أصاب فله أجران**» وبين الانتقال من بدعة إلى بدعة «**يمرقون من الدين ثم لا يعودون إليه**» ومن الانتقال من سنة إلى بدعة (**الضلالة حق الضلالة أن تعرف اليوم ما كنت تُنكر**)، ولا يجوز قياس هذا على هذا بجامع تغيُّر القول دون النظر إلى الفارق الكبير المؤثِّر في المتغيِّر نفسه والمسألة المتغيَّر فيها؛

- فأما المتغيِّر ف«**إذا اجتهد الحاكم**» ليس كمن قيل فيه: «**قاضٍ قضى بجهل فهو في النار**» ولا «**قاضٍ علم الحق فقضى بخلافه**»، ولا يُجعل من حقَّق: «**عليكم بسنتي**» كمن قيل فيه «**من رغب عن سنتي فليس مني**».
- وأما المسألة: فلا يُجعل الخطأ الذي يُثاب فاعله كالذي قيل فيه: «**شر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**»،

وجماع الأمر: «**... ولكل شرة فترة؛ فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك**» ففيه بيان من يُذَمُّ على تغير حاله ومن لا.

ابتدأ الوحي بالرؤيا الصالحة ثم كان يسمع الصوت ويرى الضوء والحكمة من ذلك كما قال عياض:(لئلا يفجأه الملك..)

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج شدة من التنزيل، وكان يتعب حال الوحي إليه فيعرق ويحمر وجهه ... إلخ، فمن هو دون النبي صلى الله عليه وسلم أولى بهذا التعب والنصب في تلقي العلم بالشرع {لقد لقينا في سفرنا هذا نصبا}.

تكفل الله بجمع القرآن في صدر النبي صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك فقد كان يتلقى القرآن عن جبريل عليه الصلاة والسلام، فمن دون النبي صلى الله عليه وسلم أولى بتلقي العلم عن شيخ.

قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: {ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما} فغيره ممن هو دونه أولى بالتأني في طلب العلم وعدم العجلة، وأولى بالاستمرار في طلب العلم وعدم تركه أبداً، وأن يقول: رب زدني علما. (إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق)

{فإذا قرأناه فاتبع قرآنه} قال ابن عباس رضي الله عنهما كما في أول صحيح البخاري: فاستمع له وأنصت، فغير النبي صلى الله عليه وسلم ممن هو دونه أولى بالاستماع والإنصات -ويتضمن ذلك: إقلال الكلام في وقت طلب العلم- وأولى أيضاً بجمع القلب على العلم ومحاولة عدم الانشغال عنه بغيره ما أمكن، كما قال تعالى:(أو ألقى السمع وهو شهيد) قيل في تفسيرها: لا يحدث نفسه بغيره،

(وليكن قلبك له أفرغ من ...)

كان جبريل يلقى النبي صلى الله عليه وسلم كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فغير النبي صلى الله عليه وسلم ممن هو دونه أولى بالمراجعة وتعاهد المحفوظ والمدروس من العلم، فكما تقدم أن الله سبحانه تكفل بجمع القرآن في صدر النبي صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك فقد كان يتعاهد النبي صلى الله عليه وسلم القرآن، وقد قال إسحاق بن الحسن بن ميمون كما في ترجمته من طبقات الحنابلة: سمعت أبا عبد الله يقول: من أراد الحديث خدمه، قلت لأبي عبد الله: كم يقنع الرجل أن يكتب من الحديث؟ قال لي: يا إسحاق، خدمة الحديث أصعب من طلبه! قلت: ما خدمته قال: النظر فيه. انتهى

وفي هذا أيضاً مذاكرة الأقران في العلم. (حياة العلم مذاكرته) ومما يبين أهمية مذاكرة الأقران أنه لما قيل للإمام أحمد: أحمد بن صالح بالباب -وقد جاء من مصر- فأذن له، فقام إليه ورحب به وقربه وقال له: بلغني عنك أنك جمعت حديث الزهري، فتعال حتى نتذاكر ما روى الزهري عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد قال النووي في شرح مسلم: (مذاكرة حَاذق في الفن ساعة ، أنفع من المطالعة والحفظ ساعات بل أياما) اهـ وهكذا كان دأب السلف، فعند ابن سعد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان أصحاب رسول الله إذا قعدوا كان حديثهم الفقه، إلا أن يأمروا رجلا فيقرأ عليهم سورة أو يقرأ رجل سورة من القرآن. انتهى.

تكفل الله بجمع القرآن في صدر النبي صلى الله عليه وسلم دليل على أن العلم هو عطية من الله، فلو شاء علَّم عبده وجمع العلم في صدره، ولو شاء سلبه العلم. (سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله)

إذا رأيت كلاما لرجل مشهور بالعلم -وله كتاب أو كتب- ورأيت ظاهره الجزالة والقوة فاعلم أنه لا تلازم بين ذلك وبين حسن تصوره للعلم، فقد يكون جاهلا ولكنه يحسن صياغة ما فهمه في قالب يظنه الطلبة علميا رصينا محققا،

قال ابن رجب في ذيل الطبقات: يحيى بن يحيى الأزجي الفقيه: صاحب كتاب " نهاية المطلب في علم المذهب " وهو كتاب كبير جدا، وعبارته جزلة، حذا فيه حذو " نهاية المطلب " لإمام الحرمين الجويني الشافعي، وكثر استمداده من كلام ابن عقيل في الفصول ومن المجرد، وفيه تهافت كثير، حتى في كتاب الطهارة، وباب المياه، حتى إنه ذكر في فروع الآجر المجبول بالنجاسة كلاما ساقطا يدل على أنه لم يتصور هذه الفروع، ولم يفهمها بالكلية، وأظن هذا الرجل كان استمداده من مجرد المطالعة، ولا يرجع إلى تحقيق. انتهى، فقد كان كتاب هذا الرجل كبيرا جدا وعبارته جزلة، ومع ذلك فقد كان غير متصور ولا فاهم!

ونقل في ترجمة الطوفي قول تاج الدين القيسي عنه:(تقدم عند الحنابلة، وتولى الإعادة في بعض مدارسهم، وصار له ذكر بينهم، وكان يشارك في علوم، ويرجع إلى ذكاء وتحقيق، وسكون نفس، إلا أنه كان قليل النقل والحفظ، وخصوصا للنحو على مشاركة فيه، واشتهر عنه الرفض، والوقوع في أبي بكر وابنته عائشة رضي الله عنهما، وفي غيرهما من جملة الصحابة رضي الله عنهم) انتهى، فانظر كيف أن ذكاءه وتحقيقه وسكون نفسه جعله يشتهر عن الحنابلة، وانظر كيف أن تعويله على هذا الذكاء دون النقل والحفظ جعله يقع في دركات سحيقة من الجهل! نسأل الله العافية.

سأل موسى عليه الصلاة والسلام ربه: أي الناس أعلم؟ فقال: عالم لا يشبع من العلم، يجمع علم الناس إلى علمه،

في ترجمة أبي يعلى من طبقات ابنه:(وهو مع ذلك -أي من التحقيق والرسوخ في العلم- إلى حين وفاته مع كبر السن مجتهد دائب على التصنيف والتدريس مواظب، ثم إصغاؤه مع هذا العلم الكثير إلى كلمة تستفاد من صغير أو كبير)

وقال ابن عقيل كما في ترجمته من ذيل الطبقات:(ولا أزاحم فقيها في حلقة، ولا تطلب نفسي رتبة من رتب أهل العلم القاطعة لي عن الفائدة)

وقال:(إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري، حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة ومناظرة، وبصري عن مطالعة، أعملت فكري في حال راحتي، وأنا مستطرح، فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما أسطره. وإني لأجد من حرصي على العلم. وأنا في عشر الثمانين أشد مما كنت أجده وأنا ابن عشرين سنة.)

وكان الشيخ الألباني يقول: العلم لا يقبل الجمود.

مع ازدياد العالم من العلم ربما يأتي منه تقرير تمجه قلوب المبتدئين ويظنون بطلانه من أوضح الأمور، ولا يعرف مأخذه فيه إلا العلماء -سواء وافقوه أو خالفوه- قال شريك رحمه الله فيمن شك في الطلاق هل يراجع امرأته أم لا؟ فقال: ليطلقها ثم ليراجعها، فظن بعض الناس سقوط هذا القول وشبهوه بمن شك في نجاسة ثوبه، فقام بتنجيسه ليتأكد، ثم غسله، قال ابن رجب في قواعده:(ومأخذه: أن الرجعة مع الشك في الطلاق يصيرها كالمعلقة على شرط، ولا يصح تعليقها، فلا يصح تمثيل قوله بمن شك في نجاسة ثوبه فأمر بتنجيسه ثم يغسله، وكذلك لم يُصب من أدخل قوله في أخبار المغفلين، فإن مأخذه في ذلك خفي عنه..)

لا ينبغي التشنيع على العالم إن جزم بقول وكان خطأ في نفس الأمر، قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في شرح العمدة ٣\77:(فإن الباحث عن الشيء الطالب له بحسب الوسع والطاقة إذا لم يجده جاز أن ينفيه، وعلى هذا يبنى عامة الأحكام الشرعية المبنية على عدم الدليل الموجب، مثل أن يقال: لا يجب الشيء الفلاني أو لا يحرم لأن الأصل عدم الوجوب والتحريم ولا دليل على ثبوتها.)

وقال ص620:(وكذلك قول الزهري: «السنة» عنى به السنة في اعتقاده، كما يقول الفقيه: حكم الله في هذه المسألة كذا وكذا، والسنة أن يفعل كذا، وحكم الشريعة كذا، يعني به: فيما علمته وأدركته.) انتهى،

وقد خطأ ابن عثيمين ابن رجب في تقعيده للقاعدة السابعة والعشرين، فقال:(فهذه القاعدة بنظري لا تصلح، لكن المؤلف رحمه الله تصور حين كتابتها وظن أنها مضطردة أن تكون قاعدة..) انتهى، وبه يتبين أن العالم قد يذكر قاعدة ما باجتهاد منه لأنه استحضر فروعا فهم منها أنها ترجع إلى قاعدة واحدة،

فإن كانت خطأ وأمكن تنبيهه فلينبه -مع حفظ مكانته- وإلا فلترد القاعدة مع الاعتذار للعالم، فإن كانت القاعدة تؤدي إلى قول مبتدع فلازم القول ليس بقول، والظن بالعلماء أن ذلك لو عرض على أحدهم لفعل أحد أمرين: إما التراجع، وإما بيان عدم اندراج البدعة تحت هذه القاعدة.

وقد قال ابن رجب في القاعدة الأخيرة:(والشارع لم يكلف العباد بما في نفس الأمر، بل بما ظهر وبدا -وإن كان مخالفا لما في نفس الأمر- والمجهول كالمعدوم ما دام مجهولا، فإذا عُلم ظهر حكمه، كالاجتهاد مع النص والتيمم مع الماء..) انتهى

إن استطعت الرجوع إلى كلام العالم مباشرة فافعل، ولا تكتف بنقل كلامه بواسطة، ولو كانت الواسطة نقل عالم، قال ابن رجب في القاعدة 82:(وأبو بكر كثيرا ما ينقل كلام أحمد بالمعنى الذي يفهمه منه، فيقع فيه تغيير شديد، ووقع له مثل هذا في كتاب زاد المسافر كثيرا) اهـ

وقال في القاعدة 160:(فإن إسحاق بن منصور يذكر لأحمد أولا المسألة، وجواب سفيان فيها، فيجيبه أحمد عنها بعد ذلك بالموافقة أو بالمخالفة، فربما يشتبه جواب أحمد بجواب سفيان، وقد وقع ذلك للقاضي كثيرا! فلينبه لذلك وليراجع كلام أحمد من أصل مسائل ابن منصور) اهـ

قيل قديما:

ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا * بكاها فقلت الفضل للمتقدم

فقد تجد قولا لأحد العلماء فيه شيء من النقص -أو هكذا تظن- فتأتي بما يتممه ويقويه ويوضحه، فعند ذلك لا ينبغي لك أن تنسب الفضل لنفسك، فلولا أن العالم قد فتح لك الباب لما جئت بشيء، قال ابن بدران في المدخل إلى مذهب الإمام أحمد:(وليس على المخترع -أي الذي جاء بمعنى جديد في شيء من العلوم- أن يستوفي جميع الأقسام، بل عليه أن يفتح الباب، ثم لا يخلو فيما بعد من مستحسن له يقف عند ما دونه، أو مستدرك عليه بذكر ما أخل به، أو مختصر له يحذف ما يراه من الزيادات) اهـ فمن عرف أن من أجل وظائف العلماء وطلاب العلم: فتح الباب لمن يجيء بعدهم، وتمهيد الطريق لهم، انتفت عنه آفتان بإذن الله:

١: احتقار كلام العلماء إن اهتدى -بفضل الله- إلى معنى زائد على ما ذكروه.

٢: الإعجاب بنفسه إن اهتدى إلى ذلك.

وقد أحسن العلامة محمود شاكر رحمه الله حين اقتبس من كتاب وصفه بالجودة للدكتور فؤاد زكريا، عنوانه (التفكير العلمي) عقد في أواخره بابا بعنوان "شخصية العالم"، وجعل الفصل الأول في الروح النقدية، فقال:

(والوجه الآخر لموضوع النقد هذا: هو أن نعترف بفضل الآخرين على أعمالنا، فنحن ندين لمن نقرأ لهم بقدر كبير من معارفنا، بل إن كثيرا من أفكارنا الشخصية التي يبتدعها كل منا -وفي ذهنه أنه مصدرها الوحيد- لا تُثار في أذهاننا إلا لأن قراءة بحث أو كتاب معين قد أوحي إلينا بها، ولو بصورة غير مباشرة، أو أثار فينا حاسة النقد والهجوم، فيكون له الفضل في هذه الحالة بدورها، حتى ولو كان ذلك فضلا سلبيا...

ومن المؤكد أن حياتنا العلمية لن تستقيم إلا إذا أصبح الاعتراف بفضل الآخرين، حتى في الأمور البسيطة، قاعدة لا يخالفها أحد.) انتهى من المقال الأول من سلسة: المتنبي، ليتني ما عرفته! من جمهرة مقالات محمود شاكر.

لا ينبغي أن نرد أمرا ثبتت به الحجة لمجرد أنه قد يُتخذ مستندا لبعض المنحرفين، بل لو كان هذا الأمر حقا فسنجد مخرجا من استدلال أهل الباطل به على باطلهم، لأن الحق لا يتناقض، قال شيخ الإسلام رحمه الله:

(ولا ينبغي أن يرغب عما ثبت عن أهل البيت رضوان الله عليهم لاتباع بعض أهل الأهواء لهم في ذلك، قال سلمة بن شبيب: قلت لأحمد: قويت قلوب الروافض حين أفتيت أهل خراسان بمتعة الحج، فقال: يا سلمة، كنت توصف بالحمق فكنت أدفع عنك، وأراك كما قالوا!

وقال ابن بطة: سمعت أبا بكر ابن أيوب يقول: سمعت إبراهيم الحربي يقول - وسئل عن فسخ الحج- فقال: قال سلمة بن شبيب لأحمد: كل شيء منك حسن غير خلة واحدة، قال: وما هي؟ قال: تقول بفسخ الحج، قال أحمد: كنت أرى لك عقلا، عندي ثمانية عشر حديثا صحاحا، أتركها لقولك؟!

وقال أبو الحسن اللنباني: سمعت إبراهيم الحربي -وذكر له أحمد رحمه الله- فقال: ما رأيت أنا أحدا أشد اتباعا للحديث والآثار منه، لم يكن يزايله عقل، ثم قال: جاء سلمة بن شبيب إلى أحمد يوما فقال: يا أبا عبد الله، تفتي بحج وعمرة؟ فقال أحمد: ما ظننت أنك أحمق إلى اليوم، ثمانية عشر حديثا أروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا أفتي به، فلم كتبت الحديث؟!..) اهـ من شرح العمدة ٤/٣٥٥

وليس في هذا ما يعارض تحديث الناس بنا يعرفون، بل لكل بابه.

عقد ابن القيم في آخر كتاب الروح فصلا نفيسا في الفروق بين الأوامر التي تشتبه على الإنسان فلا يدري إن كانت من أوامر النفس الأمارة بالسوء أو من أوامر النفس المطمئنة،

قال رحمه الله:(فصل: وقد انتصبت الأمارة في مقابلة المطمئنة، فكل ما جاءت به تلك من خير ضاهتها هذه وجاءت من الشر بما يقابله حتى تفسده عليها..

فتقوم الحرب بين هاتين النفسين، والمنصور من نصره الله، وإذا جاءت تلك بالإخلاص والصدق والتوكل والإنابة والمراقبة جاءت هذه بأضدادها وأخرجتها في عدة قوالب، وتقسم بالله ما مرادها إلا الإحسان والتوفيق، والله يعلم أنها كاذبة، وما مرادها إلا مجرد حظها واتباع هواها والتفلت من سجن المتابعة والتحكيم المحض للسنة، إلى قضاء إرادتها وشهوتها وحظوظها..

ومن أعجب أمرها أنها تسحر العقل والقلب، فتأتي إلى أشرف الأشياء وأفضلها وأجلها فتخرجه في صورة مذمومة، وأكثرُ الخلق صبيان العقول أطفال الأحلام، لم يصلوا إلى حد الفطام الأول عن العوائد والمألوفات، فضلا عن البلوغ الذي يميز به العاقل البالغ بين خير الخيرين فيؤثره، وشر الشرين فيجتنبه..) اهـ

ثم عقد فصولا في التفريق بين أشياء كثيرة من هذا القبيل، كالفرق بين الشجاعة والتهور وبين السخاء والسرف وبين الاقتصاد والشح وبين الفراسة وسوء الظن وبين التواضع والهوان وبين سلامة القلب والبلاهة وبين التحدث بنعم الله والفخر وبين المنافسة والحسد وبين حب الرياسة وحب الإمارة للدعوة إلى الله، وأشياء من هذا الضرب.

ونسجا على هذا المنوال: ظاهرٌ أن من الأمور الحميدة التي تدعو إليها النفس المطمئنة:

١: تعظيم الدليل وعدم التعصب للعلماء،

٢: معرفة قدر العلماء وإعطاؤهم حقوقهم،

وكعادة النفس الأمارة بالسوء، فقد أتت إلى الموضع الذي يتعين على الناس فيه التعويل على الدليل فأمرتهم بتركه وأظهرت ذلك في صورة معرفة قدر العلماء وإعطائهم حقوقهم التي أمر الله بها، ومنها: طاعتهم التي افترضها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وأظهرت الذي يرد الدليل لقول عالم من العلماء بمظهر المتواضع الذي عرف قدر نفسه.

ثم أتت النفس الأمارة بالسوء إلى المواطن المشكلة التي تتعين فيها التؤدة ويتعين فيها انتظار كلام العلماء لاتباعهم فأمرت فيها بعدم التؤدة وبالهجوم على البت في هذه القضايا دون انتظار لكلام العلماء، وسهلت عليهم مخالفة أقوال العلماء، وأظهرت ذلك في صورة تعظيم الدليل وتوحيد محمد صلى الله عليه وسلم بالاتباع وترك اتخاذ العلماء أربابا من دون الله.

وللأسف فإن تلبيس النفس الأمارة في هذين الأصلين كثيرا ما ينطلي على المنتسبين إلى الدعوة السلفية، وذلك لتميز أهل هذه الدعوة المباركة بكثرة التأكيد على هذين الأصلين العظيمين،

ومن الصور المتطرفة للتلبيس الأول: قول من قال:(وكل نص خالف مذهبنا فهو إما مؤول أو منسوخ)
ومن الصور المتطرفة للتلبيس الثاني: قول جماعة التكفير والهجرة بكفر من يعتقد حجية الإجماع! لأن الإجماع ليس إلا تقليدا للعلماء وهذا التقليد شرك واتخاذ لهم أربابا من دون الله!
وبين هذين التطرفين المتضادين ألوان وصنوف من الالتباس، وكثير منها يخفى على من لم تحرى هذه المسألة العسيرة، فكيف بمن لم يبال بالتفريق بين المواطن التي يستعمل فيها الأصل الأول والمواطن التي يستعمل فيها الأصل الثاني؟!
ولعل هذا من الفتن التي قال عنها حذيفة رضي الله عنه أنه لا ينجو منها إلا من دعا بدعاء الغريق!
ولعل رد أقوال العلماء بحجة عدم التقليد أكثر انتشارا بين السلفيين من العكس، فلذا قد تكون الحاجة إلى التأكيد على أهمية عدم الاستخفاف بكلام العلماء أمس،
فنقول:
قال عمر رضي الله عنه:(فلما رأيت الله شرح صدر أبي بكر رضي الله عنه للقتال علمت أنه الحق) فهنا قد استدل على الحق بانشراح صدر أبي بكر له، فهل هذا من التقليد؟ حاشى وكلا، وإنما هو قد عرف قدر أبي بكر وعرف قدر المسألة النازلة، فلم ير بدا من اتباع قول أبي بكر.
وفي تهذيب الآثار 5\372:(قال الشَّعبي: كان عبد الله لا يقنت، ولو قنت عمر لقنت عبد الله، وعبد الله يقول: «لو سلك الناس واديا وشعبا، وسلك عمر كرم الله وجهه واديا وشعبا، لسلكت وادي عمر وشعبه»).
فهل كان ابن مسعود رضي الله عنه مقلدا لعمر؟ الجواب واضح، وقد قيلت نحو هذه العبارة في أحمد، وقيل في أحمد كلام كثير في هذا المعنى، منه قول الطبري في صريح السنة:(وأما القول في ألفاظ العباد بالقرآن، فلا أثر فيه نعلمه عن صحابي مضى، ولا تابعي قضى، إلا عمن في قوله الغناء والشفاء رحمة الله عليه ورضوانه، وفي اتباعه الرشد والهدى، ومن يقوم قوله لدينا مقام قول الأئمة الأولى: أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه) فهل كان الطبري -وهو الإمام المجتهد- مقلدا؟!
وأيضا فقد تبع الشافعي مذهب زيد بن ثابت رضي الله عنه في الفرائض، رغم معرفة الشافعي بآيات الفرائض وأحاديثها وسائر أقضية الصحابة -وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون- فهل كان الشافعي مقلدا أم كان عارفا بقدر زيد الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم:(أفرض أمتي زيد)؟
بل كل من مضى هم فحول العلماء المجتهدين، ومع ذلك يقولون في بعض المسائل مثل هذه العبارات التي يظنها كثير من الناس تعصبا وتقليدا!
وقد قال ابن الصلاح في مقدمة طبقات فقهاء الشافعية:(وفي المعرفة لهم معرفة من هو أحق بالاقتداء، وأحرى بالاقتفاء، والجاهل بهم من مقتبسة العلم مسو لإمحاله عند اختلافهم بين الغث والسمين، غير مميز

بين الرث والوزين.) اهـ وقال شيخ الإسلام معللا كون عمل أهل المدينة من المرجحات عند التعارض في أصح الروايتين عن أحمد:

(ونحن وإن لم نطلق القول بأن إجماعهم -أهل المدينة- حجة فإنا نضعهم مواضعهم ونؤتي كل ذي حق حقه، ونعرف مراتب المحدثين والمفتين والعاملين لنرجح عند الحاجة من يستحق الترجيح..) شرح العمدة ٤/٦٤٢

فتبين أن معرفة مراتب العلماء وأقدارهم مما يفيد في الترجيح، فليس ذلك مما لا يُلتفت إليه أبدا بزعم أن الكل يؤخذ من قوله ويترك، بل العالم الكبير المعروف بسعة العلم والتقوى والخبرة أولى بالصواب ممن كان دون ذلك، والأصل في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم:(البركة مع أكابركم) والأكابر هم أهل السنة -كما في حديث:(وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري)- وهم كبار السن أيضا، كما روى أبو خيثمة في العلم برقم 155 عن ابن مسعود رضي الله عنه:(إنكم لن تزالوا بخير ما دام العلم في ذوي أسنانكم، فإذا كان العلم في الشباب أنف ذو السن أن يتعلم من الشباب)، وصحيح أن التعويل على الدليل إلا أن استسهال رمي عالم من العلماء بمخالفة الدليل أو بجهله أمر لا يليق، بل من رأى من العلماء شيئا مما يظنه مخالفة للدليل فعليه أن ينعم النظر ويبالغ في إنعام النظر قبل أن يتجرأ على مخالفتهم.

وقد قال الشاطبي في الموافقات في صفة العالم الذي تحقق به العلم:(أن يكون ممن رباه الشيوخ في ذلك العلم لأخذه عنهم وملازمته لهم، فهو الجدير بأن يتصف بما اتصفوا به من ذلك، وهكذا كان شأن السلف الصالح.

فأول ذلك ملازمة الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذهم بأقواله وأفعاله واعتمادهم على ما يرد منه كائنا ما كان وعلى أي وجه صدر، فهموا مغزى ما أراد به أو لا، حتى علموا وتيقنوا أنه الحق الذي لا يعارض، والحكمة التي لا ينكسر قانونها، ولا يحوم النقص حول حمى كمالها، وإنما ذلك بكثرة الملازمة وشدة المثابرة.

وتأمل قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صلح الحديبية حيث قال: يا رسول الله، ألسنا على حق وهم على باطل؟

قال: بلى،

قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟

قال: بلى،

قال: ففيم نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟!

قال: يا ابن الخطاب! إني رسول الله، ولن يضيعني الله أبدا.

فانطلق عمر -ولم يصبر- متغيظا فأتى أبا بكر فقال له مثل ذلك، فقال أبو بكر: إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبدا.

قال: فنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفتح، فأرسل إلى عمر فأقرأه إياه، فقال: يا رسول الله، أو فتح هو؟ قال: نعم، فطابت نفسه ورجع.

فهذا من فوائد الملازمة والانقياد للعلماء والصبر عليهم في مواطن الإشكال، حتى لاح البرهان للعيان.

وفيه قال سهل بن حنيف رضي الله عنه يوم صفين: أيها الناس، اتهموا رأيكم، والله لقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أني أستطيع أن أرد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لرددته!

وإنما قال ذلك لما عرض لهم فيه من الإشكال، وإنما نزلت سورة الفتح بعد ما خالطهم الحزن والكآبة لشدة الإشكال عليهم والتباس الأمر، ولكنهم سلموا وتركوا رأيهم حتى نزل القرآن فزال الإشكال والالتباس.

وصار مثل ذلك أصلا لمن بعدهم، فالتزم التابعون في الصحابة سيرتهم مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى فقهوا ونالوا ذروة الكمال في العلوم الشرعية، وحسبك من صحة هذه القاعدة أنك لا تجد عالما اشتهر في الناس الأخذ عنه إلا وله قدوة اشتهر في قرنه بمثل ذلك، وقلما وجدت فرقة زائغة، ولا أحد مخالف للسنة إلا وهو مفارق لهذا الوصف، وبهذا الوجه وقع التشنيع على ابن حزم الظاهري، وأنه لم يلازم الأخذ عن الشيوخ ولا تأدب بآدابهم، وبضد ذلك كان العلماء الراسخون كالأئمة الأربعة وأشباههم.) اهـ هذا الكلام النفيس الذي بيننا وبين استحضار بعضه -فضلا عن تطبيقه- مفاوز ومفاوز! بل كل سلفي -مهما كان قليل البضاعة في العلم- يريد أن يكون حكما على العلماء وكأنه المجتهد المطلق! ولعله لو صبر على ما صبر عليه العلماء لنال ما نالوه، والله المستعان، وقد قال سعد رضي الله عنه كما عند مسلم:(تعلمني الأعراب بالصلاة!) وعنده أيضا قول ابن عباس رضي الله عنهما لرجل تميمي: (أتعلمني بالسنة؟ لا أم لك؟!) وفي لفظ لمسلم أيضا:(لا أم لك أتعلمنا بالصلاة؟!) -بل قد كان يحصل مثل هذا الغضب بين بعض الصحابة كما في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين 1163- فليحذر طالب العلم من أن يصنع صنيع الأعراب وصنيع التميمي فيظن أنه بلغ مستوى من العلم لا يحتاج معه إلى العلماء كثيرا،

والمقصود مما نحن فيه: بيان شيء من أهمية التفريق بين اتباع الدليل وإهدار حق العلماء، فلعل كثيرا من الفتن تنطفيء لو كان أصحابها قد حاسبوا أنفسهم وبالغوا في التحري لئلا يخلطوا بين هذين الأمرين، والله المستعان.

لا تسأم من كثرة تكرار العلماء للحديث أو المسألة، ولا تقل:(قد سمعت هذا فلن أسمعه الآن وسأسمع غيره!) ولا تقفز عن قراءه الحديث أو الآية اكتفاء منك بمعرفتك لها، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يكرر كلمته ثلاثا، وحديث أوقات النهي عن الصلاة وصفة وفضل الوضوء مع ركعتيه سمعه عمرو بن عبسة رضي الله عنه من النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من سبع مرات، وكذا سمع أبو أمامة رضي الله عنه حديث الخوارج سبع مرات، وسمعه علي رضي الله عنه أربع مرات، وعند بدء الوحي غط جبريل النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثا، والحكمة في ذلك: ليفرغ قلبه لما يلقى إليه، وفي تكريره إشارة إلى تكرير العلم على المتعلم، قاله الحافظ، ومعلوم أن ابن عباس رضي الله عنهما بات عند خالته ميمونة ورأى كيفية وضوء وصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك لما قال له علي رضي الله عنه:(ألا أريك كيف كان يتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم؟) قال:)بلى)، وقد كان وهب بن كيسان لا يجلس مجلسا إلا قال فيه:(لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها) فكان يسمعها مالك دائما، فنفعه الله بها وانتشرت بسببه، وقد قال ابن معين:(لو لم نكتب الحديث من ثلاثين وجها ما عقلناه) وهذا التكرار يورث الرسوخ، قال ابن خلدون:(والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرّره مرّة بعد أخرى حتّى ترسخ صورته، وعلى نسبة الأصل تكون الملكة) اهـ.

واعلم أن من مقاصد العلماء: إشاعة الاستدلال بالنص المعين على المسألة، قال ﷺ:(من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) قال النووي: وهذا الحديث مما ينبغي حفظُه واستعمالُه في إبطالِ المنكرات وإشاعةُ الاستدلال به. انتهى، وقد يكون العالم حال تكراره للنص أو المسألة عالما بأن الطلاب قد يقولون: "حفظنا هذا الكلام، فلا داعي لتكراره" وقد يكون العالم قادرا على إبهارهم بالجديد الذي يطربهم، ولكن العالم يعلمهم ما ينفعهم ويحتاجونه، لا ما يطلبونه ويلتذون بسماعه.

في ذيل طبقات الحنابلة: كان أبو البقاء -العكبري- إذا أراد أن يصنف كتابا أحضرت له عدة مصنفات في ذلك الفن وقرئت عليه، فإذا حصله في خاطره أملاه، فكان بعض الفضلاء يقول: أبو البقاء تلميذ تلامذته، يعني: هو تبع لهم فيما يلقونه عليه. انتهى، وليس المراد بكونه تلميذ تلامذته أن طريقته في التصنيف فيها نقص، بل من راجع ترجمته رأى كثرة ثناء العلماء على كتبه، وإنما المراد أن للطلاب فضلا على شيخهم، وهذا صحيح، فلولا الطلاب لما استطاع الشيخ بث العلم، فلذا قيل:(العالم والمتعلم شريكان في الأجر) وقال العلامة عبدالمحسن العباد في الكلمة التي كتبها بمناسبة تلقيه جائزة الأمير نايف:(والإحسان في هذا التدريس والدراسة مشترك بيني وبين الطلاب، فكما أحسنت إليهم في تدريسهم فقد أحسنوا إلي بحضورهم دروسي، والأمر في ذلك كما قال الحافظ أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد بن إسحاق بن مندة

المتوفى سنة 470 فيما نقله عنه الحافظ ابن رجب رحمه الله في ترجمته من كتابه ذيل طبقات الحنابلة: وقال يحيى بن منده: قرأت عليه قول شعبة: من كتبت عنه حديثا فأنا له عبد، فقال: من كتب عني حديثا فأنا له عبد.

ثم قال الشيخ العباد: وفي كل ليلة وأحيانا في حالات أخرى أدعو بالمغفرة لأصناف من الناس من الأقارب وغيرهم، آخر هذا الدعاء: وشيوخي وتلاميذي وسائر المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات..) ولابن القيم كلام مفيد في هذا لا أثبت موضعه الآن، ولما قدم أحمد بن حنبل من سامرا جعل يقول: جزى الله أبا بكر المروذي عني خيرا. انتهى من ترجمة المروذي من الطبقات.

وأيضا فقد يستفيد الشيخ من طلابه علما لم يكن يعرفه، ومن هذا الباب بعض رواية الأكابر عن الأصاغر، ولأجله قيل:(لا ينبل الرجل حتى يروي عمن فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه) وقال العلامة العثيمين رحمه الله:(أن في نشر العلم وتعليمه زيادة له، فعلم العالم يزيد إذا علم الناس، لأنه استذكار لما حفظ، وانفتاح لما لم يحفظ، وما أكثر ما يستفيد العالم من طلبة العلم، فطلابه الذين عنده أحيانا يأتون له بمعان ليست له على بال، ويستفيد منهم وهو يعلمهم، وهذا شيء مشاهد.

ولهذا ينبغي للمعلم إذا استفاد من الطالب، وفتح له الطالب شيئا من أبواب العلم- ينبغي له- أن يشجع الطالب، وأن يشكره على ذلك، خلافا لما يظنه بعض الناس أن الطالب إذا فتح عليه، وبين له شيئا كان خفيا عليه تضايق المعلم، يقول هذا صبي يعلم شيخا! فيتضايق، ويتحاشى بعد ذلك أن يتناقش معه، خوفا من أن يطلعه على أمر قد خفي عليه، وهذا من قصور علمه، بل من قصور عقله، لأنه إذا من الله عليك بطلبة يذكرونك ما نسيت ويفتحون عليك ما جهلت فهذا من نعمة الله عليك..) انتهى من مجموع الشيخ 26 \224.

ولو لم يكن من فضل للطالب على شيخه إلا أنه يجعله يحضّر للتدريس لكفى، سئل العلامة عبيد الجابري إن كان قد قدم رسالة دكتوراة، فقال:(لا لم أقدم رسالة دكتوراة ولم أفكر فيها، اكتفيت بما حصل في الماجستير وفرغت نفسي للتدريس -خصوصا بعد التقاعد- فرغت نفسي للتدريس في المسجد والمطالعة، وهذا عندي أفضل من رسالة الدكتوراة، لأن رسالة الماجستير حقيقة أتعبتني وأخذت مني الوقت الكثير والفائدة محصورة، نعم أنا طالعت يعني أكثر من عشرين كتابا في التفسير وفي الحديث وفي غير ذلك، لكن ما وجدت مثل الجلوس للتدريس، هذا الذي أنصح به أبنائي هنا -من كان حاضرا ومن سيسمع- التدريس ليس له مثيل في تحصيل العلم، فإن المدرس الحاذق يحضر المسألة بجميع فروعها ثم يلقيها على سامعه، سواء كانوا طلابا في المدارس أو إخوة له في المساجد.

أخيرا: جاء في حديث مرسل:(ما من عبد يخطب خطبة إلا الله سائله عنها يوم القيامة: ما أردت بها؟) والشاهد ليس هنا، إنما الشاهد أن مالك بن دينار رحمه الله كان إذا حدث بهذا بكى ثم يقول:(أتحسبون أن عيني تقر بكلامي عليكم وأنا أعلم أن الله سائلي عنه يوم القيامة ما أردت به؟!) ثم يقول:(أنت الشهيد على قلبي، لو لم أعلم أنه أحب إليك لم أقرأ على اثنين أبدا) نقلته من ترغيب المنذري ٢/٨٩٤ وعزاه إلى ابن أبي الدنيا -يعني في الصمت- والبيهقي -يعني في الشعب- وجود إسناده مع إرساله، وفي هذا الأثر ما يبين معنى كون الحديث أخوف الأعمال عند بعض السلف، وفيه أيضا أنه لا ينبغي لعبد أن يترك طلب العلم ولا بثه بسبب هذا الخوف من الله، بل الحديث كغيره من أعمال الإحسان التي يأتي بها المسلمون **(وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون).**